سُورَةُ يُونُسَ

مَكِّيَّةٌ، [إلاَّ الآياتِ ٤٠ و٩٤ و٩٥ و٩٦ فَمَدَنِيَّةٌ]

وَهِيَ مَائَةٌ وَتِسْعُ آيَاتٍ [نَزَلَتْ بَعْدَ الإِسْرَاءِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾

﴿الٓر﴾: تعديد للحروف على طريق التحدي، و﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة، و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: ذو الحكمة؛ لاشتماله عليها، ونطقه بها، أو وصف بصفة محدثة؛ قال الأعشى [من الكامل]:

وَغَـرِيـبَـةٍ تَـأْتِـي الـمُـلُـوكَ حَـكِـيـمَـةٍ ... قَدْ قُلتُهَا لِيُقَالَ: مَنْ ذَا قَالَهَا؟[1]

الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾: اسم كان، وعجباً: خبرها، وقرأ ابن مسعود: عجب، فجعله اسماً وهو نكرة و(أن أوحينا): خبراً وهو معرفة؛ كقوله [من الوافر]:

.... يَـكُـونُ مِـزَاجَـهَـا عَـسَـلٌ وَمَـاءُ[2]

(١) للأعشى. أي: ورب قصيدة غريبة حكيمة ناطقة بالحكمة دالة عليها، أو حكيم قائلها، فهو من الإسناد للسبب، لأنها سبب في وصف قائلها بالحكمة. قد قلتها ليتعجب الناس ويقولوا من هذا الشاعر البليغ الذي قالها. وذا: اسم إشارة في لغة الحجاز، واسم موصول في لغة طيء، وهي أقرب هنا، فجملة «قالها» صلة الموصول.

ينظر: ديوانه (٧)، القرطبي (٨/ ٣٠٥)، الهمع (١/ ٨٤)، الدرر (١/ ٥٩).

(٢) كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء

على أنيابها أو طعمُ غض ... من التفاح هصره اجتناء

لحسان بن ثابت قبل تحريم الخمر. والسلافة: أول ما يسيل من ماء العنب. ويروى «سبيئة» أي مشتراة: يقال: سبأ الخمر كنصر، إذا اشتراها. ويروى خبيئة: أي مصونة في الخابية. وبيت رأس: =

obeikandi.com

والأجود أن تكون «كان»: تامة، وأن أوحينا بدلاً من عجب.

فإن قلت: فما معنى اللام في قوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾؟ وما هو الفرق بينه وبين قولك: أكان عند الناس عجباً؟

قلت: معناه: أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها، ونصبوه علماً لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم، وليس في عند الناس هذا المعنى، والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر، وأن يكون رجلاً من أفناء رجالهم[1]، دون عظيم من عظمانهم، فقد كانوا يقولون/ ٣١٠أ: العجب أنّ الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار، ويبشر بالجنة، وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب؛ لأنّ الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشر مثلهم، وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥]، وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب ـ أيضاً ـ لأنّ الله تعالى إنما يختار من استحق الاختيار؛ لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوّة، والغنى والتقدّم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء، ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧]، والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى، فكيف يكون عجباً؟ إنما العجب العجيب، والمنكر في العقول: تعطيل الجزاء، ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾: أن: هي المفسرة؛ لأنّ الإيحاء فيه معنى القول، ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، وأصله: أنه أنذر الناس، على معنى: أن الشأن قولنا أنذر الناس، و﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: الباء معه محذوف، ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ

= قرية بالشام. وقيل المراد بالرأس الرئيس، وشرابها أطيب من غيره، و«مزاجها» خبر يكون مع أنه معرفة. و«عسل» اسمها مع أنه نكرة، وكان القياس العكس فقلب للضرورة. وجوزه ابن مالك في معمول «كان» و«إن» فلا قلب. وقال الفارسي: إن انتصاب مزاجها على الظرفية المجازية. وروي برفع الكلمات الثلاث، على أن اسم كان ضمير الشأن. وقول ابن السيد: بزيادة «كان» هنا: غير مرضٍ؛ لأن زيادة المضارع لا ترتكب إلا عند الضرورة، ويروى بنصب العسل فقط، فهو خبر ورفع ماء. بتقدير: وخالطها ماء. وجملة الكون صفة سلافة. وعلى أنيابها: خبر «كأن» المشددة. والمزاج: ما يمزج به غيره. والمراد بالأنياب: الثغر كله. والغض: الطري الرطب. والهصر: عطف الغصن وإمالته إليك من غير إبانة لتجني ثمره. والتهصير: مبالغة فيه. وروي «الجناء» بدل «الاجتناء». وهو بالقصر مصدر. لكن مد هنا ضرورة. وإسناد التهصير إلى ذلك مجار عقلي، من باب الإسناد للسبب. وإيقاعه على التفاح على تقدير مضاف، أي: هصر غصنه. ويروى: أو طعم غصن، فلا تجوز في تهصيره. لكن إضافة طعم إليه على تقدير مضاف. أي طعم ثمر غصن. شبه ريقها بالخمر الجيدة وطعمه بطعم تفاح ميل غصنه الجاني ليجتنيه، إشارة إلى أنه مجني الآن لم يمض عليه شيء من الزمان، وتلويحاً لتشبيه محبوبته بالأغصان في الرقة واللين والميلان.

ينظر: ديوانه (٥٩)، والكتاب (١/ ٢٣)، والمغني (٥٠٥)، والهمع (١/ ١١٩)، والدرر (١/ ٨٨).

(١) قوله: «من أفناء رجالهم» في الصحاح: يقال هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو (ع).

﴿رَبِّهِمْ﴾ أي: سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة[1].

فإن قلت: لم سميت السابقة قدماً؟

قلت: لما كان السعي والسبق بالقدم، سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً، كما سميت النعمة يداً؛ لأنها تعطى باليد، وباعاً؛ لأنّ صاحبها يبوع بها، فقيل: لفلان قدم في الخير، وإضافته إلى صدق؛ دلالة على زيادة فضل، وأنه من السوابق العظيمة، وقيل: مقام صدق، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إن هذا الكتاب وما جاء به محمد ﴿لَسِحْرٌ﴾: ومن قرأ: «لساحر»؛ فهذا إشارة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو دليل عجزهم واعترافهم به، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً، وفي قراءة أبيّ: «ما هذا إلا سحر».

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿يُدَبِّرُ﴾: يقضي، ويقدر على حسب مقتضى الحكمة، ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها؛ لئلا يلقاه ما يكره آخراً، و﴿الْأَمْرَ﴾: أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش.

فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟

قلت: قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه، وملكه بخلق السموات والأرض، مع بسطتها واتساعها في وقت يسير، وبالاستواء على العرش، وأتبعها هذه الجملة؛ لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره؛ وكذلك قوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾: دليل على العزة والكبرياء؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ١٨]، و﴿ذَٰلِكُمُ﴾: إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة، أي: ذلك العظيم[2] الموصوف بما وصف به هو ربكم، وهو الذي يستحق منكم العبادة، ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: وحده/ ٣١٠ب، ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان، فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما

---

(١) قال محمود: «أي سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة... إلخ» قال أحمد: ولم يرد في سابقة السوء تسميتها قدماً، إما لأن المجاز لا يطرد، وإما أن يكون مطرداً ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب في الحقيقة، والله أعلم.

(٢) قوله: «ذلك العظيم» لعله ذلكم (ع).

أنتم عليه، ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾: مصدر مؤكد لقوله: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾، و﴿حَقًّاۚ﴾ مصدر مؤكد؛ لقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٦]، ﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾: استئناف، معناه: التعليل لوجوب المرجع إليه، وهو: أنّ الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم، وقرىء: «أنه يبدؤ الخلق»، بمعنى: لأنه، أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله، أي: وعد الله وعداً بدأ الخلق ثم إعادته، والمعنى: إعادة الخلق بعد بدئه، وقرىء: وعد الله، على لفظ الفعل، «ويبدىء»، من أبدأ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بما نصب حقًّا، أي: حقّ حقًّا بدأ الخلق؛ كقوله [من الطويل]:

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ جَائِياً ... وَلاَ ذَاهِباً إِلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ[1]

وقرىء: حق أنه يبدؤ الخلق؛ كقولك: حق أنّ زيداً منطلق، ﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بالعدل، وهو متعلق بيجزي، والمعنى: ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم، أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا، ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحاً؛ لأنّ الشرك ظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] والعصاة: ظلام أنفسهم، وهذا أوجه؛ لمقابلة قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥﴾

الياء في ﴿ضِيَآءٗ﴾: منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها، وقرىء: «ضئاء» بهمزتين بينهما ألف على القلب، بتقديم اللام على العين، كما قيل في عاق: «عقا»، والضياء أقوى من النور، ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾: وقدّر القمر، والمعنى: وقدّر مسيره، ﴿مَنَازِلَ﴾: أو قدّره ذا منازل؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]. ﴿وَٱلۡحِسَابَۚ﴾: وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي، ﴿ذلك﴾: إشارة إلى المذكور، أي: ما خلقه إلا ملتبساً بالحق

---

(١) أحقا عباد الله أن لست جائياً ... ولا ذاهباً إلا علي رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة ... من الناس إلا قيل: أنت مريب
لعبد الله بن الدمينة الخثعمي. وقيل: لقيس بن الملوح. قال المرزوقي: أحقا انتصب عند سيبويه على الظرفية، كأنه قال: أفي الحق ذلك، لأنهم كثيرا ما يقولون: أفي الحق كذا. وعند المبرد على المفعولية المطلقة، أي أحق ذلك حقا، لأنه مصدر، وعباد الله: منادى. وروي: أن لست وارداً ولا صادراً. والمعنى واحد. والرقيب: المانع من لقاء الحبيب. ويجوز أن يراد به ما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ أي مناظر حاضر أو قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾. ينظر: ديوانه ص (١٠٣)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (١٣٦٤)، وشرح الأشموني (٢/ ٣٠٢)، والبحر (٥/ ١٢٤)، والطبري (١٥/ ٢١).

الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً، وقرىء: «يفصل»، بالياء.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾

خصّ المتقين؛ لأنهم يحذرون العاقبة، فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يتوقعونه أصلاً، ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم، المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق، أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء، أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف، ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من الآخرة، وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي؛ كقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]. ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾: وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها، فبنوا شديداً، وأمّلوا بعيداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: يسدّدهم بسبب إيمانهم للاستقامة[1] على سلوك السبيل المؤدي إلى/ ٣١١أ الثواب؛ ولذلك جعل: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: بياناً له وتفسيراً؛ لأنّ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها، ويجوز أن يريد يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، ومنه الحديث: «إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا عَمَلُكَ، فَيَكُونُ لَهُ نُوراً وَقَائِداً إِلَى الجَنَّةِ، وَالكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ

---

(١) قال محمود: «معناه يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة... إلخ» قال أحمد: هو يقرر بذلك زعمه في أن شرط دخول الجنة العمل الصالح، وأن من لم يعمل مخلد في النار كالكافر، وأنى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية إلى الجنة مطلق الإيمان، فقال ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ وقول الزمخشري «أن المراد إضافة العمل» لا ينتهض عن حيز الدعوى، فإن الله لم يعلل بغير الإيمان وإن جرى لغيره ذكر أو لا فلا يلزم إجراؤه ثانياً ولا محوج إليه. وشبهته أن الإيمان المجهول سببٌ مضاف إلى ضمير الصالحين، فيلزم أخذ الصلاح قيداً في التسبب، وهو ممنوع؛ فإن الضمير إنما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة أمثال وأشكال، والله المرفق.

obeikandi.com

قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا عَمَلُكَ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ النَّارَ» (٧٤٠).

فإن قلت: فلقد دلت هذه الآية على أنّ الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية، والتوفيق، والنور ويوم القيامة، هو إيمان مقيد، وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح، والإيمان الذي لم يقرن بالعمل الصالح، فصاحبه لا توفيق له ولا نور، قلت: الأمر كذلك؛ ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعاً فيها بين الإيمان والعمل، كأنه قال: إنّ الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، ثم قال: بإيمانهم، أي: بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح، وهو بين واضح لا شبهة فيه، ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: دعاؤهم؛ لأن «اللهمّ»: نداء لله، ومعناه: اللهمّ، إنا نسبحك؛ كقول القانت في دعاء القنوت: اللهمّ، إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، ويجوز أن يراد بالدعاء: العبادة، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: على معنى أنْ لاَ تكليف في الجنة ولا عبادة، وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه، وذلك ليس بعبادة؛ إنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾: وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح، ﴿أنِ﴾: يقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ومعنى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: أنّ بعضهم يحيي بعضاً بالسلام، وقيل: هي تحية الملائكة إياهم، إضافة للمصدر إلى المفعول، وقيل: تحية الله لهم، «وأن» هي المخففة من الثقيلة، وأصله: «أنه الحمد لله»، على أن الضمير للشأن؛ كقوله [من البسيط]:

.... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَىٰ وَيَنْتَعِلُ[1]

---

٧٤٠ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١١٧) رقم (٣٤٦٣٢)، من طريق أبي خالد الأحمر عن عمرو ابن قيس عن عطية عن ابن عمر موقوفاً. وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٤) رقم (١٧٥٧٣)، من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة مرفوعاً. ومن طريق الطبري ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٣٨)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة به.
ونقله الثعلبي عن مجاهد ومقاتل عن النبي ﷺ، وسنده إليهما في أول كتابه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١١٩).
قال الحافظ: أخرجه الطبري من طريق سعيد عن قتادة قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أخرج من قبره ـ فذكره»، وروى ابن أبي شيبة من طريق عمرو بن قيس عن عطية عن ابن عمر قال: «يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره عمله في أحسن صورة. فذكر نحوه بتمامه ـ انتهى.

---

(١) وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول
في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل
للأعشى ميمون بن قيس. والحانوت: محل البيع والشراء. والمراد: محل بيع الطعام والشراب. =

وقرىء: «أَنَّ الحمدَ لله»، بالتشديد، ونصب الحمد.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

أصله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: تعجيله لهم الخير، فوضع ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾: موضع تعجيله لهم الخير[1]؛ إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم، حتى كأنّ استعجالهم بالخير تعجيل لهم، والمراد: أهل مكة، وقولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء، يعني: ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه، ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لأميتوا وأهلكوا، وقرىء: «لقضي إليهم أجلهم»، على البناء للفاعل، وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ وتنصره قراءة عبد الله: «لقضينا إليهم أجلهم».

فإن قلت: فكيف اتصل به قوله: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾/ ٣١١ب وما معناه؟

قلت: قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾: متضمن معنى نفي التعجيل؛ كأنه قيل: ولا نعجل

= يتبعني شاو: أي غلام يشوي اللحم. مشل: أي مسرع. شلول: خفيف في العمل: شلشل: بالضم، أي ماض في الخدمة وقضاء الحوائج: شول ـ ككتف ـ خفيف في العمل. وقيل: مخرج للحم من القدر. في فتية: أي حال كوني مع فتيان كسيوف الهند في إنفاذ العزائم في المكارم. أو في بياض الوجوه وتهللها. والأول أنسب بقوله: قد علموا أنه، أي الحال والشأن. هالك وفان كل حاف: غير لابس للنعل، ومنتعل: لابس له، وهما كناية عن الفقير والغني، وإذا استويا في الغنى فلا معنى للبخل الذي لا يوجب البقاء. ويجوز أنهما كناية عن جميع الناس مبالغة في التعميم.
ينظر ديوانه ص ١٠٩، والأزهية ص ٦٤، والإنصاف ص ١٩٩، وتخليص الشواهد ص ٣٨٢، وخزانة الأدب ٥/ ٤٢٦، ٨/ ٣٩٠، ١٠/ ٣٩٣، ١١/ ٣٥٣، ٣٥٤، والدرر ٢/ ١٩٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٧٦، والكتاب ٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤، ١٦٤، ٤٥٤، والمحتسب ١/ ٣٠٨، ومغني اللبيب ١/ ٣١٤، والمقاصد النحويّة ٢/ ٢٨٧، والمنصف ٣/ ١٢٩، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٠/ ٣٩١، ورصف المباني ص ١١٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٧١، والمقتضب ٣/ ٩، وهمع الهوامع ١/ ١٤٢.

(١) قال محمود: «فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً من تنبيهات الزمخشري الحسنة التي تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة، ولا يكاد وضع المصدر مؤكداً أو مقارناً لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة. والنحاة غايتهم أن يقولوا في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أنه أجرى المصدر على الفعل مقدراً عدم الزيادة. أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره: نبتم نباتاً، ولا يزيدون على ذلك، وإذا راجع الفطن قريحته وناجى فكرته، هل قرن المصدر في كتاب الله بغير فعله لفائدة أو لا ـ تسور بلطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية مراتبها، فالفائدة ـ والله أعلم ـ في اقتران قوله (نباتاً) بقوله (أنبتكم) التنبيه على تحتم نفوذ القدرة في المقدور، وسرعة إمضاء حكمها حتى كان إنبات الله لهم نفس نباتهم أي إذا وجد من الله الإنبات وجد لهم النبات حتماً فكان أحد الأمرين عين الآخر فقرن به والله أعلم.

لهم الشر، ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم، ﴿فِي طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ أي: فنمهلهم، ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم؛ إلزاماً للحجة عليهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: في موضع الحال؛ بدليل عطف الحالين عليه، أي: دعانا مضطجعاً، ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾.

فإن قلت: فما فائدة ذكر هذه الأحوال؟

قلت: معناه: أنّ المضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر، فهو يدعونا في حالاته كلها ـ إن كان منبطحاً عاجز النهض[(١)] متخاذل النوء[(٢)]، أو كان قاعداً لا يقدر على القيم، أو كان قائماً لا يطيق المشي والمضطرب ـ إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة[(٣)] بتمامها، ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشدّ حالاً وهو صاحب الفراش، ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود، ومنهم المستطيع للقيام، وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء؛ لأنّ الإنسان للجنس، ﴿مَرَّ﴾ أي: مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر، ونسي حال الجهد، أو مرّ عن موقف الإبتهال والتضرع لا يرجع إليه، كأنه لا عهد له به، ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾: كأنه لم يدعنا، خفف وحذف ضمير الشأن؛ قال [من الهزج]:

.... كَـأَنْ ثَـدْيَـاهُ حُـقَّـانِ[(٤)]

---

(١) قوله: «عاجز النهض» نهض نهضاً ونهوضاً: قام (ع).

(٢) قوله: «متخاذل النوء» في الصحاح: ناء ينوء نوءاً إذا نهض بجهد ومشقة (ع).

(٣) قوله: «والمسحة» في الصحاح: وعلى فلان مسحة من جمال (ع).

(٤) ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان

أي: ورب نحر. ويروى بالرفع عطفاً على شيء تقدم، أي ولها. والنحر: موضع القلادة من الصدر. ويروى: وصدر مشرق، أي أبيض مضيء. ويروى: وصدر مشرق النحر. ويروى: ووجه مشرق اللون، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. وقال أبو حيان: لا حاجة للإضمار عند الإهمال. وروي: كأن ثدييه بالإعمال مع التخفيف وهو قليل. وإضافة الثديين لضمير النحر للملابسة ولضمير الوجه على تقدير مضاف» أي: ثديا صاحبته. والحقان: تثنية حق وهو ما يعمل من العاج ونحوه، يوضع فيه أعز الأشياء. وقيل تثنية حقة، وحذفت منه التاء.
ينظر الإنصاف ١/ ١٩٧، وأوضح المسالك ١/ ٣٧٨، ولسان العرب (أنن)، والكتاب ٢/ ١٣٥، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٤، والدرر ٢/ ١٩٩، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٨٢، وشرح التصريح ١/ ١٣٤، وشرح شذور الذهب ص ٣٦٩، وتخليص الشواهد =

obeikandi.com

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك التزيين، ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته، ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَمَّا﴾: ظرف لأهلكنا، والواو في ﴿وَجَآءَتْهُمْ﴾: للحال، أي: ظلموا بالتكذيب، وقد جاءتهم رسلهم بالحجج، والشواهد على صدقهم وهي المعجزات، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: يجوز أن يكون عطفاً على ظلموا؛ وأن يكون اعتراضاً، واللام لتأكيد النفي، يعني: وما كانوا يؤمنون حقًّا؛ تأكيداً لنفي إيمانهم، وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم، وأن الإيمان مستبعد منهم، والمعنى: أن السبب في إهلاكهم تكذيب الرسل، وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثه الرسل، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء، يعني: الإهلاك، ﴿نَجْزِى﴾: كل مجرم، وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ـ ﷺ ـ وقرىء: «يجزي»، بالياء، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾: الخطاب للذين بعث إليهم محمد ـ ﷺ ـ أي: استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا، ﴿لِنَنظُرَ﴾: أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب عملكم، و﴿كَيْفَ﴾: في محل النصب بتعملون لا ينتظر؛ لأنّ معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدّم عليه عامله.

فإن قلت: كيف جاز النظر على الله ـ تعالى ـ وفيه معنى المقابلة[1]؟

قلت: هو مستعار للعلم المحقق، الذي هو العلم بالشيء/ ٣١٢أ موجوداً شبه بنظر الناظر، وعيان المعاين في تحققه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ

= ص ٣٨٩، والجني الداني ص ٥٧٥، وشرح ابن عقيل ص ١٩٧، وشرح قطر الندى ص ١٥٨، وشرح الأشموني ١/ ١٤٧، والمقاصد النحوية ٢/ ٣٠٥، والمنصف ٣/ ١٢٠٨، وهمع الهوامع ١/ ١٤٣، والدر المصون ٢/ ٣٩٠.

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى... إلخ» قال أحمد: وكنت أحسب أن الزمخشري يقتصر على إنكار رؤية العبد لله تعالى، فضم إلى ذلك إنكار رؤية الله، والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية، يقولون: إن الله لا يرى ولا يُرى، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً. وتقدم إبطال دعواهم أن النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده، والله الموفق.

غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين، فقالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ﴾: آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾: بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة وذمّ عبادتها، فأمر بأن يجيب عن التبديل؛ لأنه داخل تحت قدرة الإنسان، وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل، وأن يسقط ذكر الآلهة، وأما الإتيان بقرآن آخر، فغير مقدور عليه للإنسان، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما ينبغي لي وما يحل؛ كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[المائدة: ١١٦]. ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾: من قبل نفسي، وقرىء: بفتح التاء من غير[1] أن يأمرني بذلك ربي، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: لا آتي ولا أذر شيئاً من نحو ذلك، إلا متبعاً لوحي الله وأوامره، إن نسخت آية تبعت النسخ، وإن بدّلت آية مكان آية تبعت التبديل، وليس إليّ تبديل ولا نسخ، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بالتبديل والنسخ من عند نفسي: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فإن قلت: أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾؟

قلت: بلى، ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز، وكانوا يقولون: لو نشاء لقلنا مثل هذا، ويقولون: افترى على الله كذباً، فينسبونه إلى الرسول، ويزعمونه قادراً عليه وعلى مثله، مع علمهم بأنّ العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه، كان الواحد منهم أعجز.

فإن قلت: لعلهم أرادوا: «ائت بقرآن غير هذا أو بدّله»، من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته، وأراد بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدّله.

قلت: يردّه قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾.

فإن قلت: فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح؟

قلت: الكيد والمكر، أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن، ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله، فأبدل مكانه آخر، وأما اقتراح التبديل والتغيير، فللطمع ولاختبار الحال، وأنه إن وجد منه تبديل، فإمّا أن يهلكه الله فينجو منه، أو لا يهلكه فيسخروا منه، ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحاً لافترائه على الله.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦﴾

(١) قوله: «من غير» لعله «أي من غير» (ع).

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات، وهو: أن يخرج رجل أُمي لم يتعلم، ولم يستمع، ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره، ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً، يبهر كل كلام فصيح، ويعلو على كل منثور ومنظوم، مشحوناً بعلوم من علوم الأصول والفروع، وأخبار مما كان وما يكون، ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله، وقد بلغ/ ٣١٢ب بين ظهرانيكم[١] أربعين سنة تطلعون على أحواله، ولا يخفى عليكم شيء من أسراره، وما سمعتم منه حرفاً من ذلك، ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به، ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾: ولا أعلمكم به على لساني، وقرأ الحسن: «ولا أدراتكم به»، على لغة من يقول: أعطاته وأرضاته، في معنى: أعطيته وأرضيته؛ وتعضده قراءة ابن عباس: «ولا أنذرتكم به»، ورواه الفراء «ولا أدرأتكم به»، وبالهمز، وفيه وجهان:

أحدهما: أن تقلب الألف همزة، كما قيل: لبأت بالحج، ورثأت الميت وحلأت[٢] السويق؛ وذلك لأنّ الألف والهمزة من واد واحد؛ ألا ترى أنّ الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة.

والثاني: أن يكون من درأته إذا دفعته، وأدرأته إذا جعلته دارئاً، والمعنى: ولاجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني، وعن ابن كثير: «ولأدراكم به»، بلام الابتداء؛ لإثبات الإدراء، ومعناه: لو شاء الله، ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري؛ ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة، ورآني لها أهلاً دون سائر الناس، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾، وقرىء: (عمراً) بالسكون، يعني: فقد أقمت فيما بينكم يافعاً وكهلاً، فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه، ولا كنت متواصفاً بعلم وبيان فتتهموني باختراعه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي، وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم: «ائت بقرآن غير هذا» من إضافة الافتراء إليه.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ١٧﴾

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: يحتمل أن يريد: افتراء المشركين على الله في قولهم: إنه ذو شريك وذو ولد، وأن يكون تفادياً مما أضافوه إليه من الافتراء.

---

(١) قوله: «ظهرانيكم» في الصحاح: ظهرانيهم ـ بفتح النون (ع).
(٢) قوله: «وحلأت» أي جعلته حلواً (ع).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: الأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر، وقيل: إن عبدوها لم تنفعهم، وإن تركوا عبادتها لم تضرهم، ومن حق المعبود أن يكون مثيباً على الطاعة، معاقباً على المعصية، وكان أهل الطائف: يعبدون اللات، وأهل مكة: العزى، ومناة، وهبل، وأسافا، ونائلة، ﴿و﴾: كانوا ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: وعن النضر بن الحَارِث: إذا كان يوم القيامة، شفعت لي اللات والعزى، ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده، وهو إنباء بما ليس بالمعلوم لله، وإذا لم يكن معلوماً له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات، لم يكن شيئاً؛ لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه، فكان خبراً ليس له مخبر عنه.

فإن قلت: كيف أنبأوا الله بذلك؟

قلت: هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام، وإعلام بأنّ الذي أنبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة، فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل/ ٣١٣أ بما لا يعلمه، وقرىء: «أتنبؤن»، بالتخفيف، وقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تأكيد لنفيه؛ لأنّ ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم، ﴿تُشْرِكُونَ﴾: قرىء بالتاء والياء، وما: موصولة أو مصدرية، أي: عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم؛ وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل، وقيل: بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: عاجلاً فيما اختلفوا فيه، ولميز المحق من المبطل، وسبق كلمته بالتأخير؛ لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف، وتلك دار ثواب وعقاب، وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها، وكانوا

لا يعتدّون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة، التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها، وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر، بديعة غريبة في الآيات، دقيقة المسلك من بين المعجزات، وجعلوا نزولها كلا نزول، وكأنه لم ينزل عليه آية قط، حتى قالوا: لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه؛ وذلك لفرط عنادهم، وتماديهم في التمرّد وانهماكهم في الغيّ؛ ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به، يعني؛ أنّ الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو، ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: نزول ما اقترحتموه، ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون، ثم رحمهم بالحيا، فلما رحمهم، طفقوا يطعنون في آيات الله، ويعادون رسول الله ـ ﷺ ـ ويكيدونه؛ و«إذا» الأولى: للشرط، والآخرة: جوابها، وهي للمفاجأة، والمكر: إخفاء الكيد وطيه، من الجارية الممكورة المطوية الخلق، ومعنى ﴿مَسَّتْهُمْ﴾: خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم.

فإن قلت: ما وصفهم بسرعة المكر، فكيف صح قوله: ﴿أَسْرَعُ مَكْرًا﴾؟

قلت: بلى، دلت على ذلك كلمة المفاجأة؛ كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم، وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رءوسهم من مس الضراء، ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم، والمعنى: أن الله ـ تعالى ـ دبر عقابكم، وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ﴾: إعلام بأنّ ما تظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله، وهو منتقم منكم، وقرىء: «يمكرون»، بالتاء والياء، وقيل: مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا، وعن أبي هريرة: «إنّ الله ليصبح/ ٣١٣ب القوم بالنعمة ويمسيهم بها، فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون: مطرنا بنوء كذا» (٧٤١).

---

٧٤١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١١/ ٦٦٢): هكذا رواه المصنف موقوفاً، وهو مرفوع، رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، والطبري في تفسيره في سورة الواقعة، ومن طريق الطبري رواه الثعلبي؛ كلهم من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى ليصبح عباده بالنعمة، أو ليمسيهم بها، فيصبح قوم بها كافرين، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا» أ.هـ. والحديث أخرجه الطبري (١١/ ٦٦٢) رقم (٣٣٥٦١). =

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قرأ زيد بن ثابت: «ينشركم»، ومثله قوله: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

فإن قلت: كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر[١]، والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك؟

قلت: لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد «حتى» بما في حيزها، كأنه قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه

= قال الحافظ:
أخرجه إسحاق والطبري: والثعلبي من طريق ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم، اليمني عن أبي سلمة عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى ليصبح عباده بالنعمة أو ليمسيهم بها، فيصبح بها قوم كافرون، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا» قال محمد: فذكرت الحديث لسعيد بن المسيّب فقال: ونحن سمعناه من أبي هريرة. ولمسلم من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «قال الله تعالى: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق بها كافرين، يقولون: الكوكب وبالكوكب مطرنا». انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية... إلخ» قال أحمد: وهذه أيضاً من نكته التي لا يكتنه حسنها، وقد مر لي قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه في توأمتها، وذلك عند قوله تعالى ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ وقد استدل الزمخشري بها لأبي حنيفة في أن الصغير يبتلى قبل البلوغ بأن يسلم إليه قدر من المال يمتحن فيه، خلافاً لمالك، فإنه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ قال الزمخشري: ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء، فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيا به. واعترضت هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجعول غاية هو حمله ما في حيز «حتى» من البلوغ مقروناً بإيناس الرشد، وهذا المجموع هو الذي يلزم وقوعه بعد الابتلاء، ولا يلزم من ذلك أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الإبتلاء، بل من الممكن أن يقع أحدهما قبل والآخر بعد، فلا يحصل المجموع إلا بعد الإبتلاء. ويوضح ذلك هذه الآية، فإنه تعالى جعل غاية تسييرهم في الفلك كونهم فيها، مضافاً إلى ما ذكر معه. ونحن نعلم أن كونهم في الفلك ـ وذلك أحد ما جعل غاية ـ متقدم على التسيير وإن كان المجموع واقعاً، كوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون في الفلك والله أعلم. وإنما بسطت القول ههنا لفواته ثم، فجدد بما مضى عهداً.

obeikandl.com

الحادثة، وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف، وتراكم الأمواج، والظنّ للهلاك[1]، والدعاء بالإنجاء.

فإن قلت: ما جواب «إذا»؟ قلت: جاءتها، فإن قلت: فدعوا؟ قلت: بدل من ظنوا؛ لأنّ دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به، فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح، فإن قلت: ما وجه قراءة أمّ الدرداء: «في الفلكي»، بزيادة ياء النسب؟ قلت: قيل: هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري، ويجوز أن يراد به اللجّ والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه، والضمير في ﴿ جَرَيْنَ﴾: للفلك؛ لأنه جمع فلك كالأسد، في فعل أخي فعل[2]، وفي قراءة أمّ الدرداء: «للفلك»، أيضاً؛ لأنّ الفلكي يدلّ عليه، ﴿جَآءَتْهَا﴾: جاءت الريح الطيبة، أي: تلقتها، وقيل: الضمير للفلك، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جميع أمكنة الموج، ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أهلكوا جعل إحاطة العدوّ بالحي مثلاً في الهلاك، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: من غير إشراك به؛ لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه، ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾: على إرادة القول، أو لأن: (دعوا): من جملة القول، ﴿يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يفسدون فيها، ويعبثون متراقين في ذلك، ممعنين فيه، من قولك: بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، والبغي لا يكون بحق؟

قلت: بلى، وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة، وهدم دورهم، وإحراق زروعهم، وقطع أشجارهم، (٧٤٢) كما فعل رسول الله ـ ﷺ ـ ببني قريظة، قرىء: «متاع

---

٧٤٢ ـ أخرجه البخاري (٨/٦٧): كتاب المغازي: باب حديث بني النضير، حديث (٤٠٢٨)، ومسلم (٦/٣٣٤ ـ النووي): كتاب الجهاد والسير: باب إجلاء اليهود من الحجاز، حديث (٦٢/١٧٦٦) وأبو داود (٣/١٥٧): كتاب الخراج والإمارة والفيء، حديث (٣٠٠٥).
كلهم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر به.
قال الحافظ: متفق على معناه من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ انتهى.

---

(١) قوله: «والظن للهلاك» عبارة النسفي: بالهلاك (ع).
(٢) قوله: «كالأسد في فعل» أي كما جاء «فعل» بالضم في «فعل» بفتحتين، كأسد في أسد، جاز مجيء «فعل» بالضم في فعل «بالضم» كفلك في فلك، وذلك لأن «فعلاً بفتحتين و«فعلاً» بالضم أخوان، لأنهما يشتركان في الشيء الواحد، كالعرب والعرب والعجم والعجم، والرهب والرهب. فما جاز في أحدهما لا يمنع في الآخر، وقد جاز «فعل» بالضم في «فعل» بالفتح، فليجز «فعل» بالضم في «فعل» بالضم، لأنهما أخوات. كذا في الصحاح، فتأمله.

الحياة الدنيا»، بالنصب.

فإن قلت: ما الفرق بين القراءتين؟

قلت: إذا رفعت كان المتاع خبراً للمبتدأ الذي هو: (بغيكم)، و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾: صلته؛ كقوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص: ٧٦]، ومعناه: إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم، يعني: بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها، وإذا نصبت: فـ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ خبر غير صلة، معناه: إنما بغيكم وبال على أنفسكم، و﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: في موضع المصدر المؤكد، كأنه قيل: تتمتعون متاع الحياة الدنيا، ويجوز أن يكون الرفع على: هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام، وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لاَ تَمْكُرْ وَلاَ تُعِنْ مَاكِراً، وَلاَ تَبْغِ وَلاَ تُعِنْ بَاغِياً، وَلاَ تُنْكِثْ وَلاَ تُعِنْ نَاكِثاً» (٧٤٣)، وكان يتلوها، وعنه عليه الصلاة والسلام: «أَسْرَعُ الخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَعْجَلُ الشَّرِّ عِقَاباً البَغْيُ وَالْيَمِينُ الفَاجِرَةُ» (٧٤٤) وروي: «ثِنْتَانِ يُعَجِّلُهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا: البَغْيُ،

---

٧٤٣ ـ أخرجه ابن المبارك في كتابه «الزهد والرقائق» (ص ٢٥٢) رقم (٧٢٥)، من طريق يونس بن يزيد عن الزهري مرسلاً قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لا تمكر ولا تُعن ماكراً؛ فإن الله يقول: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾، ولا تبغ ولا تُعن باغياً؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾، ولا تنكث ولا تُعن ناكثاً فإن الله تعالى يقول: ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾.

وأخرج الحاكم بعضه في مستدركه (٢/٣٣٨) عن عيينة بن عبد الرحمن الغطفاني سمعت أبي يحدث عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبغ ولا تعن باغياً، فإن الله يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾.

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أ.هـ. وعن الحاكم أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٢٨٥) رقم (٦٦٧١).

ومن طريق ابن المبارك رواه الثعلبي في تفسيره في سورة فاطر؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/١٢١).

قال الحافظ:

أخرجه ابن المبارك في الزهد: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري: قال «بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لا تمكر ولا تعن ماكراً، فإن الله تعالى يقول: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ ولا تبغ ولا تعن باغياً فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾؛ ولا تنكث ولا تعن ناكثاً، فإن الله تعالى يقول: ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾، وفي مستدرك الحاكم بعضه من حديث أبي بكرة مرفوعاً: «لا تبغ ولا تعن باغياً فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ انتهى.

٧٤٤ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/١٤٠٨): كتاب الزهد: باب البغي، حديث (٤٢١٢)، وأبو يعلى في مسنده (٨/١٠ ـ ١١) رقم (٤٥١١٢) كلاهما من طريق معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين به.

وله شاهد من حديث أبي بكرة:

أخرجه أبو داود (٤/٢٧٦): كتاب الأدب: باب في النهي عن البغي، حديث (٤٩٠٢)، والترمذي =

وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» (٧٤٥)، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «لو بغى جبل على جبل لدك الباغي» (٧٤٦)، وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه [من البسيط]:

= (٤/ ٦٦٤ ـ ٦٦٥): : كتاب صفة القيامة، حديث (٢٥١١)، وابن ماجه (٢/١٤٠٨): كتاب الزهد: باب البغي، حديث (٤٢١١)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٥٦) و(٤/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ. والبخاري في الأدب المفرد ص (٢٨) برقم (٦٧)؛ كلهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة به.

وأخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده»، والثعلبي في تفسيره كلاهما عن مكحول به؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٢).

قال الحافظ:

أخرجه إسحاق في مسنده عن جرير عن برد بن بسار عن مكحول رفعه: وأعجل الخير قراباً صلة الرحم، وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة، تدع الديار بلاقع، ولأبي يعلى من حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رفعته، «أسرع الخير ثواباً صلة الرحم. وأسر الشر عقوبة البغي». انتهى.

٧٤٥ ـ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٩١)، وذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٢٢)، وعزاه إلى إسحاق بن راهويه، والطبراني في معجمه.

قال الحافظ:

أخرجه إسحاق في مسنده، والطبراني من حديث عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه. والبخاري في الأدب المفرد من رواية بكار بن عبد العزيز عن أبيه عن جده رفعه: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا البغي وعقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه في الدنيا قبل الموت». انتهى.

٧٤٦ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٥/ ٢٩١) رقم (٦٦٩٣) عن الأصم عن محمد بن إسحاق قال: «لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكّا».

قال البيهقي: تابعه فطر عن أبي يحيى القتات. وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية»: (٢/ ٧٧٧) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : لو بغى جبل على جبل لخر الجبل الذي بغى عليه.

قال ابن عديّ: هذا حديث باطل عن ابن أبي ذئب لم يروه غير إسماعيل، وكان يحدث عن الثقات بالبواطيل، وقال ابن حِبان: كان يروي الموضوعات من الثقات لا يحل الرواية عنه. أ.هـ.

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية أيضاً (٢/ ٧٧٧) عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكّا.

قال أبو حاتم: كتبت عنه نحو خمس مائة حديث كلها موضوعة، ولعله قد وضع على الأئمة أكثر من ثلاثة آلاف حديث.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٤) وعزاه إلى ابن مردويه عن كل من ابن عباس وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

وأخرجه ابن المبارك في كتاب «البر والصلة»؛ والبخاري في الأدب المفرد؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٣) عن ابن عباس موقوفاً.

قال الحافظ:

أخرجه البخاري في الأدب حدثنا أبو نعيم حدثنا قطر بن خليفة عن أبي يحيى القتات: سمعت =

يَا صَاحِبَ الْبَغْيِ إِنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ ... فَارْبَعْ فَخَيْرُ فَعَالِ الْمَرْءِ أَعْدَلُهُ
فَلَوْ بَغَىٰ جَبَلٌ يَوْماً عَلَىٰ جَبَلٍ ... لَانْدَكَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ[١]

وعن محمد بن كعب: «ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه: البغي، والنكث، والمكر»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها، وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاثف، وزين الأرض بخضرته ورفيفه[٢]، ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً، ﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾: كلام فصيح: جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس، إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين، وأصل: (ازّينت): تزينت، فأدغم، وبالأصل قرأ عبد الله، وقرىء: «وأزينت»، أي: أفعلت، من غير إعلال الفعل كأغيلت، أي: صارت ذات زينة، «وازيانت»، بوزن ابياضت، ﴿قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها، رافعون لغلتها، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم، ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾: فجعلنا زرعها، ﴿حَصِيدًا﴾: شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾:

= مجاهداً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ موقوفاً. ورواه ابن المبارك في الزهد عن قطر عن يحيى عن مجاهد مرسلاً. ورواه البيهقي في الشعب من طريق الأعمش عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس. ورواه ابن مردويه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أخرجه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة أحمد بن الفضل. وقال: إنه كان يضع الحديث. انتهى.

---

(١) كان المأمون بن الرشيد يتمثل بهما في بغي أخيه عليه، وكرر لفظ البغي تنفيراً عنه، وشبهه بالمصرعة لأن صاحبه يرتبك فيه في العاقبة وربما هلك، وربع يربع، إذا لم يتجاوز قدر نفسه. فاربع: أي الزم قدرك واعدل في فعلك. والفعال ـ بالفتح ـ: غالب في فعل الخير. والمراد هنا مطلق الفعل، أي: فخير عمل المرء أقومه، فلو بغى جبل على جبل يوماً من الأيام لعوقب واندك منه أعاليه. ويلزم منه اندكاك أسافله. وهذا عقد قول ابن عباس رضي الله عنهما: لو بغى جبل على جبل لدك الباغي.

(٢) قوله: «ورفيفه» أي يرمقه وتلألؤه. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه، كذا في الصحاح (ع).

كأن لم يغن زرعها، أي: لم ينبت[1] على حذف المضاف في هذه المواضع لا بدّ منه، وإلا لم يستقم المعنى، وقرأ الحسن: «كأن لم يغن»، بالياء على أنّ الضمير للمضاف المحذوف، الذي هو الزرع، وعن مروان أنه قرأ على المنبر: «كأن لم تتغن بالأمس»؛ من قول الأعشى [من المتقارب]:

.... طَـوِيـلَ الـثَّـوَاءِ طَـوِيـلَ الـتَّـغَـنّ[2]

والأمس: مثل في الوقت القريب؛ كأنه قيل: كأن لم تغن آنفاً.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: الجنة، أضافها إلى اسمه؛ تعظيماً لها، وقيل: السلام: السلامة؛ لأنّ أهلها سالمون من كل مكروه، وقيل: لفشوّ السلام بينهم، وتسليم الملائكة عليهم، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة ٢٦]، ﴿وَيَهْدِى﴾: ويوفق، ﴿مَن يَشَآءُ﴾: وهم الذين علم أنّ اللطف يجدي عليهم؛ لأنّ مشيئته تابعة لحكمته، ومعناه: يدعو العباد كلهم إلى دار السلام، ولا يدخلها إلا المهديون.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنى، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: وما يزيد على المثوبة وهي التفضل؛

---

(١) قوله: «أي لم ينبت» لعله لم يثبت. وفي الصحاح: غني بالمكان أي أقام، وغني أي عاش.

(٢)
وكنت امرأ زمناً بالعراق ... طويل الثواء طويل التغن
فأنبئت قيساً ولم آته ... على نأيه ساد أهل اليمن
فجئتك مرتاد ما أخبروا ... ولولا الذي خبروا لم ترن

للأعشى، يستمنح قيس بن معد يكرب ويقول: وكنت رجلاً طويل الثواء في العراق، طويل التغني فيه دهراً طويلاً، فزمناً: ظرف. ويجوز قراءته: زمناً، كحذر: أي هرم. والثواء: الإقامة. وغني بالمكان يغنى، كرضي يرضى: أقام ومكث. وقد يقال: تغنى تغنياً كترضى ترضياً، إذا تمكث وتلبث. فالتغني ـ بالتشديد ـ: مصدر حذفت لامه عند الوقف وإن كان حذفها قليلاً فأنبئت قيساً والحال أني لم أجئه: مع أنه ناء أي بعيد عني، أي مع بعده ساد أهل اليمن بجوده وكرمه على أهل الأرض، فجملة «ساد» في محل المفعول الثاني، ثم بعد ما قدم المدح التفت إلى خطابه بقوله: فجئتك مرتاداً ومتعرفاً ومتطلباً لما أخبروا به من كرمك وجودك، وإضافة مرتاد للموصول لا تفيده التعريف؛ لأنها إضافة الوصف لمعموله لفظيا، فصح وقوعه حالاً، ولولا الذي خبروني به لم تنظرني عندك ولم أجئ إليك. وروي: ولم أبله، من بلاه يبلوه إذا اختبره. وروي خبر أهل اليمن أي أنبئته والحال أني لو أختبره أفضل أهل اليمن، فجئتك مختبراً لحالك.
ينظر: ديوانه ص (٢٥).

obeikandi.com

ويدل/ ٣١٤ب عليه قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النور: ٣٨]، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «الحسنى»: الحسنة، والزيادة: عشر أمثالها، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»، وعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ: «الزيادة: مغفرة من الله ورضوان»، وعن يزيد بن شجرة: «الزيادة: أن تمرّ السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أمطركم؟ فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم، وزعمت المشبهة والمجبرة[١] أن الزيادة النظر إلى وجه الله ـ تعالى ـ[٢] وجاءت بحديث مرقوع[٣]: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نُودُوا: أَنْ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيُكْشَفُ الحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَالله، مَا أَعْطَاهُمُ الله شَيْئاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيهِمْ مِنْهُ» (٧٤٧) ﴿وَلَا يَرْهَقُ

---

٧٤٧ ـ أخرجه مسلم (٢/ ١٩ ـ ٢٠ ـ النووي): كتاب الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم سبحانه وتعالى حديث (١٨/ ٢٩٧) والترمذي (٤/ ٦٨٧): كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في رؤية الرّب تبارك وتعالى، حديث (٢٥٥٢)، وقال: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وابن ماجه (١/ ٦٧) المقدمة، حديث (١٨٧).
كلهم من طريق ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ به.
قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٢٤):
والعجب أن الترمذي لما روى هذا الحديث في كتابه، لم يحسنه ولم يصححه ولا قال: وفي الباب عن أحد من الصحابة، وإنما قال: هكذا رفعه حماد بن سلمة، وقد رواه سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله، لم يذكر فيه عن صهيب، عن النبي ﷺ أ.هـ. =

---

(١) قوله: «وزعمت المشبهة والمجبرة» يريد أهل السنة القائلين بجواز رؤيته تعالى ووقوعها في الآخرة، خلاف المعتزلة في ذلك (ع).
(٢) ذكر محمود في الزيادة تفاسير كثيرة، ثم قال: «وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى... إلخ». قال أحمد: نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى إلى زعم أهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والمجبرة: مرور على ديدنه المعروف في التكذيب بما لم يحط به علماً، وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة، والحديث المروي فيه مدون في الصحاح متفق على صحته، وقد جعل أهل السنة جاؤوا به من عند أنفسهم، ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، حملاً له على أنه جاء به من عنده، فلأهل السنة إذاً أسوة بصاحبها، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فابتلاء الحق بالباطل قديم، والله الموفق. وإن في قوله تعالى على أثر ذلك ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ مصداقاً لصحة هذا التفسير، فإن فيه تنبيهاً على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى فجدير بهم ألا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب، عكس المحرومين المحجوبين فإن وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد. نسأل الله الكفاية. فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة، وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم، منهم شقي وسعيد.
(٣) قوله: «بحديث مرقوع بالقاف، أي مفترى، كذا قيل. وهو في مقابلة المرفوع بالفاء، أي المضاف إلى النبي ﷺ».

﴿وُجُوهَهُمْ﴾: لا يغشاها، ﴿قَتَرٌ﴾: غبرة فيها سواد، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: ولا أثر هوان وكسوف بال. والمعنى: لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكاراً بما ينقذهم منه برحمته؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عبس: ٤١]، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، وكيف يتلاءم؟

قلت: لا يخلو، إمّا أن يكون: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا﴾: معطوفاً على قوله: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؛ كأنه قيل: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، وإمّا: أن يقدّر: وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى: جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها، وهذا أوجه من الأول؛ لأنّ في الأوّل عطفاً على عاملين، وإن كان الأخفش يجيزه، وفي هذا دليل على أنّ المراد بالزيادة الفضل؛ لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله، ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله، وقرىء: «يرهقهم ذلة»، بالياء، ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه، ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين، ﴿مُظْلِمًا﴾: حال من الله، ومن قرأ (قطعاً) بالسكون من قوله: (بقطع من الليل)، جعله صفة له؛ وتعضده قراءة أبيّ بن كعب: «كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم».

فإن قلت: إذا جعلت مظلماً حالاً من الليل، فما العامل فيه؟

قلت: لا يخلو إمّا أن يكون: (أغشيت) من قبل إن (من الليل): صفة لقوله: (قطعاً)، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، وأما: أن يكون معنى الفعل في: (من الليل)[1].

= قال الحافظ:
قال الطيبي: قوله «مرفوع» هو عنده بالقاف، أي مرقع معدي. وهو عند أهل السنة بالفاء اهـ. وقد أخرجه مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب. ورواه الترمذي وقال: كذا رفعه حماد بن سلمة. وقد رواه سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قوله. انتهى. وفي الباب عن أبي موسى مرفوعاً أخرجه الطبراني في مسند الشاميين. وللطبري. وعن ابن عمر وأنس أخرجهما ابن مردويه بإسنادين ضعيفين. وعن أبي بكر الصديق أخرجه إسحاق في مسنده من رواية عامر بن سعد عنه. وعن ابن عباس وعلى أخرجهما ابن مردويه أيضاً. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «أما الوجه الأول فهو بعيد، لأن الأصل أن يكون العامل في =

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿مَكَانَكُمْ﴾: الزموا مكانكم، لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم[١]، و﴿أَنتُمْ﴾: أكد به الضمير في مكانكم؛ لسدّه مسدّ قوله: الزموا، ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾: عطف عليه، وقرىء: (وشركاءكم) على أنّ الواو بمعنى: مع، والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل؛ ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرّقنا بينهم، وقطعنا أقرانهم، والوصل[٢] التي كانت بينهم في الدنيا، أو: فباعدنا بينهم بعد/ ٣١٥أ الجمع بينهم في الموقف، وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم؛

= الحال هو العامل في ذي الحال، والعامل في «مِنَ اللَّيْلِ» هو الاستقرار «وأَغْشِيَتْ» عامل في قوله: «قِطَعاً» الموصوف بقوله: «مِنَ اللَّيْلِ» فاختلفا، فلذلك كان الوجه الأخير قطعاً مستقرة من الليل أو كائنة من الليل في حال إظلامه». قُلْتُ: ولا يَعْنِي الزمخشري بقوله: إنَّ العامل «أُغْشِيَتْ» إلا أنَّ الموصوف وهو قِطَعاً» معمول لـ «أُغْشِيَتْ»، والعامل في الموصوف هو عامل في الصفة، والصفة هي «مِنَ اللَّيْلِ» فهي معمولة لـ «أُغْشِيَتْ»، وهي صاحبة الحال، والعامل في الحال هو العامل في ذي الحال فجاء من ذلك أن العامل في الحال هو العامل في صاحبها بهذه الطريقة، ويجوز أن يكون «قِطْعَاً» جمع: قِطْعَةٍ أي: اسم جنس فيجوز حينئذٍ وصفه بالتذكير نحو «نَخْل مُنْقَعِر»، والتأنيث نحو: «نَخْلٍ خَاوِيَةٍ»، وأما قراءة الباقين فقال مكي وغيره: «إن مُظْلِماً». حال من «اللَّيْلِ» فقط،ولا يجوز أن يكون صفة لـ «قِطَعاً» ولا حالاً منه، ولا من الضمير في «مِنَ اللَّيْلِ»، لأنه كان يجب أن يُقَالَ فيه: مُظْلِمَة قُلْتُ: يعنون أن الموصوف حينئذٍ جمع، وكذا صاحب الحال، فتجب المطابقة، وأجاز بعضهم ما منعه هؤلاء وقالوا: جاز ذلك، لأنه في معنى الكثير، وهذا فيه تَعَسفٌ، وقرأ أُبَيٌ: «تَغْشَى وُجُوهَهُمْ قِطَعٌ» بالرفع «مُظْلمٌ» وقرأ ابن أبي عبلة كذلك، إلا أنه فتح الطاء وإذا جعلت «مُظْلِماً» نعتاً لـ «قِطَعاً» فتكون قد قدمت النعت غير الصريح على الصريح، قال ابن عطية: فإذا كان نعتاً يعني: «مُظْلِماً» نعتاً لـ «قِطَعٌ» فكان حقه أن يكون قبل الجملة، ولكن قد يجيء بعد هذا وتقدير الجملة: قطعاً استقر من الليل مظلماً على نحو قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وتقديره له بـ «الزموا» ليس بجيد، إذ لو كان كذلك لتعدى كما يتعدى ما ناب هذا عنه، فإنّ اسم الفعل يعامل معاملة مسماه، ولذلك لما قدروا «عَلَيْكَ» بمعنى: الزم عدوه تعديته نحو: «عَلَيْكَ زَيْداً» وعند الحوفي: «مَكَانَكُمْ» نصب بإضمار فعل، أي: «الزموا مكانكم أو اثبتوا». قُلْتُ: فالزمخشري قد سبق بهذا التفسير، والعذر لمن فسَّره بذلك أنه قصد تفسير المعنى، وكذلك فسره أبو البقاء فقال: «مَكَانَكُمْ» ظرف مبني لوقوعه موقع الأمر، أي: «الزموا». وهذا الذي ذكره من كونه مبنيا فيه خلاف للنحويين منهم من ذهب إلى ما ذكر، ومنهم من ذهب إلى أنها حركة إعراب، وهذان الوجهان مبنيان على خلاف في أسماء الأفعال هل لها محل من الإعراب أو لا؟ فإنْ قُلْنا: لها محل كانت حركات الظرف حركات إعراب، وإن قُلْنَا لا موضع لها كانت حركات بناء، انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «أقرانهم» مفرده «قرن» بالتحريك وهو حبل يقرن به البعيران، كما في الصحاح. قوله: «والوصل» مفرده «وصلة» أي اتصال وذريعة، كما في الصحاح أيضاً (ع).

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ [غافر: ٧٣، ٧٤]. وقرىء: فزايلنا بينهم؛ كقولك: صاعر خدّه وصعره، وكالمته وكلمته، ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: إنما كنتم تعبدون الشياطين؛ حيث أمروكم أن تتخذوا لله أنداداً فأطعتموهم.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِن كُنَّا﴾: هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وهم: الملائكة، والمسيح، ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل، وقيل: الأصنام ينطقها الله ـ عزّ وجلّ ـ تشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم، ﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام وفي ذلك الموقف، أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان، ﴿تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ﴾: تختبر وتذوق، ﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: من العمل فتعرف كيف هو، أقبيح أم حسن؛ أنافع أم ضارّ، أمقبول أم مردود؟ كما يختبر الرجل الشيء ويتعرّفه ليكتنه حاله؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩]، وعن عاصم: «نبلو كلَّ نفس»، بالنون ونصب كل، أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل، فنعرف حالها بمعرفة حال عملها: إن كان حسناً فهي سعيدة، وإن كان سيئاً فهي شقية، والمعنى: نفعل بها فعل الخابر؛ كقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء، وهو العذاب: كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر، وقرىء: «تتلو»، أي: تتبع ما أسلفت؛ لأنّ عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار، أو تقرأ في صحيفتها ما قدّمت من خير أو شر، ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: ربهم الصادق ربوبيته؛ لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة، أو: الذي يتولى حسابهم وثوابهم، العدل الذي لا يظلم أحداً، وقرىء: «الحقَّ»، بالفتح على تأكيد قوله: ﴿رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ كقولك: هذا عبد الله الحق لا الباطل، أو على المدح؛ كقولك: الحمد لله أهل الحمد، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله، أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: يرزقكم منهما جميعاً[1]، لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحدّ الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة، أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال، وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: ومن يلي تدبير أمر العالم كله، جاء بالعموم بعد الخصوص، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه/ ٣١٥ب فيما أنتم بصدده من الضلال، ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾: إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله، ﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ثباتاً لا ريب فيه لمن حقق النظر، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ يعني: أن الحق والضلال، لا واسطة بينهما؛ فمن تخطى الحق، وقع في الضلال، ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: عن الحق إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك، وعن السعادة إلى الشقاء، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الحق، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: كما حق وثبت أنّ الحق بعده الضلال، أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق؛ فكذلك حقت كلمة ربك، ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: أي: تمرّدوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه، و﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بدل من الكلمة، أي: حق عليهم انتفاء الإيمان، وعلم الله منهم ذلك، أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان، وأن إيمانهم غير كائن، أو: أراد بالكلمة: العدة بالعذاب، وأنهم لا يؤمنون تعليل، بمعنى: لأنهم لا يؤمنون.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

فإن قلت: كيف قيل لهم: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وهم غير معترفين بالإعادة؟

قلت: قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن رفعه دافع كان مكابراً؛ رادّاً للظاهر البين، الذي لا مدخل للشبهة فيه؛ دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلماً معترفاً بصحته عند العقلاء، وقال لنبيه ـ ﷺ ـ: ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾،

---

(١) قال محمود: «معناه أي من يرزقكم منهما جميعاً... إلخ» قال أحمد: وهذه الآية كافحة لوجوه القدرية الزاعمين أن الأرزاق منقسمة، فمنها ما رزقه الله للعبد وهو الحلال، ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفي لو سمعوا ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾.

فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب، يعني: أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم، يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين، ويقال: هدى بنفسه بمعنى: اهتدى، كما يقال: شرى بمعنى: اشترى؛ ومنه قوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾[1]، وقرىء: «لا يهدّي» بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال، والأصل: «يهتدي»، فأدغم، وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت؛ لالتقاء الساكنين، وقد كسرت الياء؛ لاتباع ما بعدها، وقرىء: «إلا أن يهدي» من هداه وهدّاه للمبالغة، ومنه قولهم: تهدي، ومعناه: أن الله وحده هو الذي يهدي للحق، بما ركب في المكلفين من العقول، وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما لطف بهم، ووفقهم، وألهمهم؛ وأخطر ببالهم، ووقفهم على الشرائع؛ فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد من أشرفهم كـ «الملائكة، والمسيح، وعزير»، يهدي إلى الحق مثل هداية الله، ثم قال: أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع، أم الذي لا يهدي، أي: لا يهتدي بنفسه، أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله، وقيل: معناه: أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه، ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾: إلا أن ينقل، أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه، ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾: بالباطل؛ حيث تزعمون/ ٣١٦ أ أنهم أنداداً لله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ۝٣٦﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾: في إقرارهم بالله، ﴿إِلَّا ظَنًّاۚ﴾؛ لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ﴾: في معرفة الله، ﴿لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾: وهو العلم، ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾، وقيل: وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة، وأنها شفعاء عند الله إلا الظن، والمراد بالأكثر: الجميع، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ﴾: وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء، وقرىء: «تفعلون»، بالتاء.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٨ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

---

(١) قوله ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ من قولهم: هدي بنفسه. أم من لا يهدي، كيرمي. وقوله: بفتح الهاء... إلخ: بقيت القراءة بكسرها مع التشديد، وقد أشار إليها بقوله: «أو كسرت» والقراءة كيرمي لحمزة وعلي. وبالفتح مع التشديد للمكي والشامي. وبالكسر معه لعاصم. والأصل: يهتدي. وهي قراءة عبد الله، أفاده النسفي (ع).

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٩ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤٠﴾

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: افتراء، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾: كان ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾، وهو: ما تقدمه من الكتب المنزلة؛ لأنه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ [فاطر: ٣١]، وقرىء: «ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب»، على: ولكن هو تصديق وتفصيل، ومعنى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ﴾: وما صحّ وما استقام، وكان محالاً أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع، من قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٤].

فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟

قلت: هو داخل في حيز الاستدراك؛ كأنه قال: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين، ويجوز أن يراد: ولكن كان تصديقاً من رب العالمين، وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك، فيكون: (من رب العالمين): متعلقاً بتصديق وتفصيل، أو يكون: (لا ريب فيه): اعتراضاً، كما تقول: زيد لا شكّ فيه كريم، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾: بل أيقولون اختلقه، على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم، أو إنكار لقولهم واستبعاد، والمعنيان متقاربان ﴿قُلۡ﴾: إن كان الأمر كما تزعمون، ﴿فَأۡتُواْ﴾: أنتم على وجه الافتراء، ﴿بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾: فأنتم مثلي في العربية والفصاحة، ومعنى: (بسورة مثله) أي: شبيهة به في البلاغة وحسن النظم، وقرىء: «بسورة مثله»، على الإضافة، أي: بسورة كتاب مثله، ﴿وَٱدۡعُواْ﴾: من دون الله، ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾: من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله، يعني: أنّ الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره، فلا تستعينوه وحده، ثم استعينوا بكل من دونه، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: أنه افتراء، ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن، وفاجؤوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه، ويعلموا كنه أمره، وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه؛ وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم؛ وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشىء على التقليد من الحشوية، إذا أحسّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه ـ وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة ـ أنكرها ما في أوّل وهلة،/ ٣١٦ب واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد؛ لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب.

فإن قلت: ما معنى التوقع في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾؟

قلت: معناه: أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل[1]؛ تقليدا للآباء، وكذبوه بعد التدبر؛ تمرداً وعناداً، فذمّهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع؛ ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه، وإعجازه لما كرّر عليهم التحدّي، ورازوا قواهم[2] في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله، فكذبوا به بغياً وحسداً، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التكذيب، ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ يعني: قبل النظر في معجزات الأنبياء، وقبل تدبرها من غير إنصاف من أنفسهم، زلكن قلدوا الآباء وعاندوا، وقيل: هو في الذين كذبوا وهم شاكون، ويجوز أن يكون معنى: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾: ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب، أي: عاقبته، حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق، يعني: أنه كتاب معجز من جهتين: من جهة إعجاز نظمه، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب، فتسرّعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حدّ الإعجاز، وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾: يصدق به في نفسه، ويعلم أنه حق، ولكنه يعاند بالتكذيب، ومنهم: من يشكّ فيه لا يصدق به، أو يكون للاستقبال، أي: ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصرّ، ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: بالمعاندين، أو المصرين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٤١﴾

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: وإن تموا على تكذيبك[3]، ويئست من إجابتهم، فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، وقيل: هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ٤٢ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ٤٣﴾

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾[4]: معناه: ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن،

---

(١) قال محمود: «معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل... إلخ» قال أحمد: وكان التكذيب قبل الإحاطة بعلمه ربما يوهم عذراً ما للمكذب، فجاءت كلمة لما مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه حتى تنحسم أعذارهم ويتحقق شقاؤهم، والله أعلم.

(٢) قوله: «ورازوا قواهم» أي جربوها وخبروها. أفاده الصحاح (ع).

(٣) قوله: «وإن تموا على تكذيبك» أي مضوا عليه ولم يرجعوا عنه. أفاده الصحاح (ع).

(٤) يقول ـ سبحانه ـ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾... نقول: هذا الأسلوب وهو حديث الاستفهام من

وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يعون ولا يقبلون، وناس ينظرون إليك، ويعاينون أدلة

= أقوى الأساليب الإنشائية الواردة في القرآن الحكيم، ولذا وجب في هذه التعليقات أن نحدد مسارات تكون منارات للسالكين، وإرشادات للباحثين، فنقول وبالله التوفيق:

١ ـ **تعريف الاستفهام** عند اللغويين: هو طلب الفهم، أي معرفتك الشيء بالقلب، أو فهمه الأمر، وفهمه إياه، وجعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فافهمته، وفهمته تفهيماً. «وهذا كله من لسان العرب ونحوه مادة: فهم».

وأما في الاصطلاح فكما قال السعد في مطوله: «وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور».

وبالمقارنة بين المعنيين نلاحظ اتصالاً وثيقاً.

وقد وزع البلاغيون الأدوات على النحو التالي:

١ ـ ما يكون للتصور والتصديق وهو «الهمزة» وحدها.

٢ ـ ما يكون للتصديق فقط وهو «هل» وحدها.

٣ ـ ما يكون للتصور فقط وهو «تسع أدوات على التوالي: من، ما، أي، كم، متى، أين، أنى، أيان، كيف».

وسنذكر المعاني الواردة في القرآن الكريم بهذه الأدوات مع ملاحظة أن الاستفهام الحقيقي لم يقع إلا حكاية عن العباد، وأما ما ورد عن الله مباشرة فله معانٍ تستطيع أن تكشف عنها بطريق المقام، ورعاية مدارج الأساليب، وسأضع لهذه المعاني رؤوساً تكون باباً يلج منه الدارسون، والباحثون.

٢ ـ **المعنى الحقيقي**: وقد رأينا هذا المعنى مع «هل» في قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].

فهذا الاستفهام تراه على طريق طلب الفهم وهو المعنى الاصطلاحي لأنه حكاية ـ عن الحواريين وما أرادوه من نبيهم عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وفي الآية كلام طويل وأخذ ورد، ولكل وجهة هو موليها، ومن أراد الغاية فعليه بأسفار العلوم في البلاغة والتفسير، وهاك بعضها:

«المطول للسعد ٢٢٦، الإيضاح للقزويني بتحقيق خفاجي عليه ٣/٥٨، وعقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي مع شرح المرشدي عليه ١/١٧٤، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٣/ ٣٠٠، والفتوحات الإلهية للجمل على الجلالين ١/٥٤٢، وحاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٢٧٤، وفتح القدير للشوكاني ٤/١٧، وتفسير أبي السعود ٢/٤٩٧ وما بعدها».

٣ ـ **المعاني المجازية** تتوالد هذه المعاني مفرعة على المعنى الحقيقي بمعونة المقام، وقرائن الأحوال، ومتبعات التراكيب يقول السكاكي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: واعلم أن هذه الكلمات كثيراً ما يتولد منها أمثال ما سبق ـ أي من كلامه ـ بمعونة قرائن الأحوال، فيقال: ما هنا؟، ومن هذا؟ المجرد الاستخفاف والتحقير، وما لي؟ للتعجب وسأحاول بقدر جهدي أن أقف مع هذه المعاني على النحو التالي:

التقدير وهو: حمل المخاطب على الإقرار والإذعان بمضمون الجملة وإلجائه إلى ذلك» وهذا تحديد السعد، وهو التعريف اللغوي ـ أيضاً ـ.

ويأتي هذا المعنى مع: الهمزة، هل، من، ما، أي، كيف والأمثلة على التوالي: يقول ـ سبحانه ـ =

الصدق، وأعلام النبوّة، ولكنهم لا يصدقون، ثم قال: أتطمع أنك تقدر على إسماع

= ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] يقول ـ عز شأنه ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فهذا الاستفهام ـ هل عسيتم ـ لتقرير ما هو متوقع عنده، والإشعار بأنه كائن واعتنى بذلك المعنى بواسطة الشرط كما أفاده الشوكاني ـ رحمه الله ـ ويقول ـ جل جلاله ـ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦] فهذا النظم القرآني فيه أمر لرسول الله ﷺ أن يقررهم بمن رب السموات والأرض، فسكتوا حذراً من الإلزام فكان الجواب من رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ نيابة عنهم: الله.

ويقول ـ عز من قائل ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧]. والقصد من السؤال: تقرير هذا الشأن ليقول: هي عصاي حتى إذا حدثت المعجزة بعد التثبت منها نبه إلى حاله الجديد، وأنه أصبح رسول الله.

ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبسى: ١٧، ١٨، ١٩] والمغزى في هذا الاستفهام: التقرير ليخضع له، وليعبده حق عبادته.

ويقول ـ جل جلاله ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢، ٤٣، ٤٤] فهذا الختام بطريق الاستفهام يحمل معنى. التقرير وهو معانٍ أخرى كالتسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ والعظة، والوعد والوعيد.

وفي هذه الآيات ونظائرها مباحث قوية منشورة في كتب التفسير «ينظر فتح القدير ١/ ٢٦٤، ٢/ ١١٧، ٥/ ٨٧، ٣٤٤، ٣/ ٣٥٧، ٧٤، ٣٦، ٥/ ٣٨٤، ٤٥٨، ٤٥٦، تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٠، النسفي ٢/ ١٢، الشهاب على البيضاوي ٢/ ٣٢٨، الرازي ٦/ ١٨٤».

الإنكار: وهو الجحود، وقد عرفه البلاغيون بأنه الأمر الذي ينفيه المتكلم، فإذا سمع قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] علم أن معناها: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان في الثواب، ففي هذا النفي إنكار أن يكون جزاء الإحسان غير الإحسان.

ومع هذا النفي والإنكار ترى معاني أخرى تلمح من خلال المقام، والدارس لها تلوح له المعاني التي يتبناها المقام ولا يتم بدونها القصد من الكلام.

وقد ورد هذا المعنى مع الأدوات الآتية:

الهمزة ـ هل ـ من ـ ما ـ كيف ـ متى والأمثلة لها من القرآن هكذا:

١ ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] «وأم هذه منقطعة، وفيها معنى الهمزة التي للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده، وفي الآية كلام للمفسرين يراجع في محله.

ومع هذا المعنى تراهم يذكرون المعاني الدائرة في فلكه كالاستبعاد، والتسلية لرسول الله ﷺ والثبات، والوعد والوعيد...

٢ ـ ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ حتى قوله ـ تعالى ـ ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٣، ١٥٤] والتقدير: ما لنا شيء من الأمر، وبهذا ترى الإنكار واضحاً في قولهم الذي أخبر به رب العالمين الخبير بما في نفوسهم، وعلى هذا =

الصم، ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم؛ لأنّ الأصم العاقل ربما تفرّس واستدل إذا

= يكون الاستفهام للإنكار، والقائلون هم المنافقون وإفادة الجملة الاسمية للثبوت والاستمرار يقوي هذا الإنكار. وقد جعله «أي الاستفهام» استرشاديا من الحاضرين جمع من المفسرين وعلى رأسهم العلامة الألوسي في روح المعاني.

وبعضهم جعله استفهاماً حقيقيا بدليل أن الجواب بالإثبات حيث جاء على هذا النحو «قل إن الأمر كله لله» وترى هذا لأبي حيان، ورده الألوسي بأنه خلاف الظاهر، والجواب المذكور إثبات للنصر على أتم وجه وأبلغه.

ومع هذا الإنكار تشم رائحة «التمني» ولا مانع من جمع المعاني إذا تحملها النظم، والقرآن حمال أوجه.

٣ ـ ويقول ـ سبحانه ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء: ١٠٩].

والأداة «من» أفادت «الإنكار» في الأسلوبين ومعه «التوبيخ» لهؤلاء المجادلين عن غيرهم بالباطل في الدنيا، فمن ذا الذي يدافع عنهم يوم يقوم الأشهاد؟ وهذا ما فهمه الشوكاني وتستطيع مراجعة معاني هذه الأدوات «الهمزة ـ هل ـ من» في المراجع الآتية:

فتح القدير للشوكاني ١/ ٥١١، ١/ ٣٩١، ٢/ ٤٨٥، ٤٨٦، ومختار الصحاح مادة (نكر) واللسان: مادة (هلل)، ومغني اللبيب لابن هشام وحاشية الأمير عليه ٢/ ٢٧، والمطول للسعد ٢٣٨، وروح المعاني للألوسي ٢/ ١٠٣، ١٠٤، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢/ ٢٩٩، ومفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٢٨٢.

٤ ـ ويقول ـ عز وجل ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

فهذا الاستفهام بطريق «ما» للإنكار بمعنى ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه وقد أحله الله لكم؟، فالإنكار ينصب على عدم الأكل مما ذبح ذبحاً شرعيا، وقد فصل الله ما هو محرم منها ما عدا حال الاضطرار فإن الأخذ بأخف الضررين واجب مشروع، وذلك فضل الله الكريم على عباده الضعفاء.

وقد أكد الإنكار بالجملة الحالية ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

وقد جعل العلامة القرطبي في تفسيره هذا الاستفهام للتقرير، وليس بظاهر، فما ذكره الشوكاني عن كونه للإنكار أحكم، وهذا ما وافق عليه كثير من المفسرين، وأضاف أبو حيان أن يفيد أمراً آخر وهو «التوبيخ» على عدم الأكل من الحلال.

وخلاصة ما في الآية: أن الاستفهام للإنكار وهو التوبيخ وقد يفيد التقرير وغيره مما يتحمله المقام.

وقد جاء **الإنكار يتضمن النهي** في قوله ـ عز شأنه ـ:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يونس: ٥٠] فهذا الإنكار المفاد من الآية يحمل معنى «لا تستعجلوه فإنه آت» وهو نهي.

٥ ـ ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] فهذا الاستفهام المصور بالأداة «**كيف**» للإنكار والتعجب، لأن الله ـ جلت حكمته ـ قد أحياهم من عدم وأنعم عليهم بعد عُدْم، وأماتهم في نهاية آجالهم، ثم يحييهم للحساب والجزاء فكيف يكفرون بعد كل هذا؟، فهذا كله يفيد: الإنكار والتعجيب، ومعه التوبيخ، والاستبعاد، وفي الآية مبالغة، بحسب المقام.

٦ ـ وهذا إنكار بالأداة «متى» في قول الله ـ سبحانه ـ: =

وقع في صماخه دويّ الصوت، فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تمّ الأمر،

= ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨] ومقام الآية للإنكار، لأن القائلين هم الكفار الذين إذا هددهم رسول الله ﷺ بنزول العذاب يقولون: متى هذا الوعد؟ إنكاراً واستبعاداً وقدحاً في نبوة النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.
وفي هذا **الاستفهام** مع ما سبق: **استعجال** للوعيد، **واستهزاء** بهم، وقيل إنه على سبيل **التكذيب** لرسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.
وخلاصة هذا كله: إن الاستفهام يفيد الإنكار ولا مانع من تحمل معانٍ أخرى تنبع من المقام وتدور في فلك الإنكار، ومن يراجع الاستفهام في كتاب الله مع الغوص في بحار معانيه يؤتيه الله ـ سبحانه ـ فتحاً عجيباً.
«ينظر فتح القدير ٢/١٥٦، ٤٥١، ١/٥٩، ٢/٤٤٩، ١/٤٤١، والنسفي ٢/٣٠، ٣١، ١/٣٨، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤/١١٩، وروح المعاني للألوسي ٨/١٤، ١٠/١٢٩، ١٣١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٢٥٩٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٤/٢١١ ومفاتيح الغيب للرازي ٨/٣٧٦».

التوبيخ والتهكم:
يقال: وبخ فلان فلاناً: هدده ولامه وأنبه كما يفهم من اللغة وهو المقصود بلاغة ويقال: تهكم به: استهزأ به، وبهذا يكون التوبيخ والتهكم متقاربين في المعنى، ولهذا نرى التعبير بهما في المباحث البلاغية فيقال ـ كما هو عند المفسرين، هذا توبيخ لهم وتهكم بهم. وهذا المعنى ينتشر في القرآن الكريم انتشاراً واسعاً حتى رأى المفسرون أنه أوسع المعاني انتشاراً في أساليب الإنشاء؛ ذلك أنه يعالج النفوس المريضة، ويهذب الطبائع الغليظة وهذا ما يناسب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
وقد استعمل في هذا المقصود مجموعة من أدوات الاستفهام، ودخل فيه من أساليب الإنشاء الأخرى الأمر، والنهي، والنداء.
أما أدوات الاستفهام التي استعملت للتوبيخ والتهكم فهاك عن التوالي بعد الهمزة: هل، من، ما، كم، كيف، متى، أين، أيان. فلم يسقط من أدوات الاستفهام إلا «أنى» التي معناها: كيف أو من أين، فقد سقطت لفظاً لا معنى، وهذا المفهوم في هذا المعنى يفيد أن هذا المقصد له تأثيره التام على النفوس وطب القلوب في كثير من المقامات.
هذا، ونظراً لاتساع هذا البحث سأورد مثالاً من كثير من الآيات لكل أداة على الترتيب السابق.
فالتوبيخ بالهمزة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤] وقد بين العلماء في الآية أن الاستفهام **للتوبيخ** ومعه **التعجب والإنكار**، **والتقرير مع المبالغة** وإن كان الباحث يرى التقرير غير ظاهر خلافاً لبنية المعاني التي يتسع لها المقام والكلام. وقد يأتي مع **التوبيخ التعجيز** كقوله ـ سبحانه ـ:
﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ [ص: ١٠] ففي الحديث معهم **توبيخ** على ما يقولون **وتعجيز** لهم بما طلب منهم ولا يستطيعون.
أما **التوبيخ بهل** فتراه في قول الله ـ سبحانه ـ:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١] فقوله ـ جلت حكمته ـ «فهل أنتم منتهون» يفيد الزجر البليغ بالاستفهام ليس =

واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى العمي ـ وهو فقد البصر ـ فقد

= التوبيخي، ولهذا قال سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ لما سمع هذه الآية: «انتهينا» وقد رأى المفسرون بعد البحث المتأني في الآية هذه المعاني:

١ ـ إفادة الأمر والمعنى: انتهوا.

٢ ـ المبادرة إلى الانتهاء وسرعة التنفيذ.

٣ ـ التقريع والتوبيخ.

٤ ـ الزجر والتحذير مع تحريك العقل لفهم هذا الأمر.

ومن أراد المزيد فعليه بالمراجع الآتية:

«ينظر النسفي ١/ ٣٠١، حاشية الشهاب على البيضاوي ٢/ ٢٨٠، الفتوحات الإلهية للجمل ١/ ٥٢٣، روح المعاني للألوسي ٧/ ١٧، حاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٢٦٤، ٢٦٥، مفاتيح الغيب للرازي ٦/ ١٢٩، وما بعدها، لسان العرب مادة (وبخ ـ هكم) وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٧٤.

والتوبيخ بمن كما في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥].

فهذا الاستفهام «بمن» يفيد: التقريع والتوبيخ، ويرى بعض الأعلام ومنهم أبو السعود أنه يفيد **الإنكار** عليهم لهذا الدعاء للأصنام وأن أحداً يساويهم في هذا الضلال ولا مانع من المعاني البلاغية التي تتحملها الآية فالقرآن حمال أوجه، ولا تزاحم بين الأسرار وقد يرى في آية أخرى معنى التعريض، وهذا واضح عند قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠] فهذا الاستفهام بحسب توجيه الخطاب يتحمل المعاني الآتية:

١ ـ ذم أهل الكتاب لأنهم كتموا حال الأنبياء، ودعوا لما هو مخالف لهم.

٢ ـ توبيخهم على كتمانهم صفة خاتم النبيين.

٣ ـ لو توجه هذا الكلام للمسلمين لكان تقريعاً لهم إذا كتموا هذه الشهادة، وفيه **تعريض** بأهل الكتاب.

والتوبيخ بما في قوله ـ سبحانه ـ يحدثنا عن بني إسرائيل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] فهذا الاستفهام الخاتم للآية تذييل يفيد معاني كثيرة، وخلاصتها كما هو مبثوث في كلام العلماء: أن الاستفهام يفيد: **التوبيخ، والتهديد، والتكذيب** في ادعاء قولهم: «نؤمن».

وقد يأتي مع التوبيخ: التعجيب والتشنيع كما في ختام الآية:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥].

ويأتي **التوبيخ بأي** الاستفهامية في قوله ـ تعالى ـ:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ومع التوبيخ البين معانٍ أخرى لحظها العلماء وهي: **التعريض، والوعد، والوعيد ويأتي التوبيخ بكم** كقوله ـ تعالى ـ:

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ [البقرة: ٢١١].

obeikandi.com

البصيرة؛ لأنّ الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس . . . .

= فهذا الاستفهام «بكم» الاستفهامية تفيد: **التقريع والتوبيخ مع التقرير**، ويصح أن تكون خبرية لإفادة التكثير في الآيات فإذا لم يؤمنوا مع كثرتها كان ذلك دليلاً على شدة كفرهم، وهذا توبيخ لهم ـ أيضاً ـ من هذا السبيل.

«ينظر فتح القدير ٥/ ١٤، ١/ ١٤٨، ١١٣، ٢/ ٤٤٥، ٢/ ٢٧٢، ٥/ ١١٧، ١/ ٢١٢، والنسفي ٤/ ١٤٠، ٢/ ٨٨، ١/ ١٠٥، ومفاتيح الغيب للرازي ١٤/ ١٩٥، ٧/ ٣٨٣، ٣/ ٢٦١، ٢٦٢، روح المعاني للألوسي ١/ ٢٣٤، ٣٢٥، ٩/ ١٢٩، ٢/ ٩٩، حاشية الشهاب ٢/ ٢٠٥، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٢٨، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٢٦».

ويأتي **التوبيخ بكيف** كقوله ـ تعالى ـ:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] والتوبيخ للكفار لأنه في يوم القيامة لا يجد هؤلاء شهيداً لهم مع وجود شهداء للمؤمنين، ولهذا المعنى بكى رسول الله ﷺ حينما سمع الآية من سيدنا عبد الله بن مسعود وقد بحث المفسرون بذوقهم هذا الاستفهام، ولكل وجهة، وجملة ما حصلته منهم أن هذا الاستفهام بمعونة المقام يفيد: **التوبيخ، والتفخيم والتهويل، والتبشير** لرسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ كما أن فيه **وعداً** للمؤمنين، **ووعيداً** للكافرين.

ويأتي **التوبيخ بمتى الاستفهامية** كقوله ـ سبحانه ـ:

﴿وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ الآيات إلى قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء ٤٩، ٥٠، ٥١] وهو **استهزاء** منهم **وسخرية**، وفيه **إنكار وتعجيب واستبعاد**، ولكل مقام معنى يناسبه.

ونرى هذا المعنى مع **«أين»** كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢] ووجه التوبيخ أن معبوداتهم غابت عنهم في تلك الحال أو حاضرة ولكنهم لا ينتفعون بها فوجودها كالعدم.

وقد لمح الزمخشري في الآية معنى **التحسير** لأن المقام فيه خزي لهم، وهذا التحسير يتولد من التوبيخ، وبهذا يفيد **الاستفهام**: **التوبيخ** ويدور معه التحسير.

ويأتي هذا المغزى مع **«أيان»** في قوله ـ تعالى ـ:

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [الذاريات ١٠، ١١، ١٢] فهذا الاستفهام **للاستهزاء والتكذيب** ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة المصنفات الباحثة في معاني القرآن ككتب التفسير والبلاغة خصوصاً التي تعنى باستخراج درر كتاب الله الحكيم ومن أهمها هذه المراجع:

«فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٦٧، ٣/ ٨٤، ٨٥، ٢/ ١٠٧، ٥/ ٨٤ وينظر روح المعاني للألوسي ففيه كفاية وغناء ٥/ ٣٣، ٣٤، ١٥/ ٩٢، ٧/ ١٢١، ١٢٢، والنسفي ١/ ٢٢٦، ٢/ ٣١٧، ٢/ ٧، وسنن الترمذي مراجعة: عبد الرحمن عثمان ٤/ ٣٠٤، ٣٠٥، ففيه أبواب تفسير القرآن. ومفاتيح الغيب للرازي ٥/ ٢١٧، ١٠/ ١١، ١٢، ٦/ ٢٥٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٨٦٢، ١٨٦٣، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤/ ٣٩ والإيضاح للقزويني مع حواشي ٣/ ٧٣ وما بعدها، والمطول للسعد ٢٣٥ وما بعدها، ومفتاح العلوم للسكاكي ١٥٠ وما بعدها، والبلاغة القرآنية لمحمد أبي موسى ٣٥٦ وما بعدها، وعقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي متناً وشرحاً ومعه شرح المرشدي ١/ ١٨٥ وما بعدها».

التفخيم: أي تفخيم المستفهم عنه كذا جاء قوله ـ تعالى ـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾﴾ [النبأ: ١] والمعنى =

= فيه: عن أي شيء يتساءلون؟ أي هو أمر عظيم له حظره، وقد بين المفسر هذا شافياً.

الاستبعاد: وهذا ما لمحه المفسرون في قوله ـ سبحانه ـ حكاية عن زوجة نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ إذ قالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢] وهو استبعاد من جهة العادة التي طبع الله الناس عليها، ولهذا أنكرت الملائكة عليها تعجبها «أتعجبين من أمر الله».

المبالغة في طلب الفعل والحض عليه: وقد أورد هذا المعنى الزمخشري عند قوله ـ تعالى ـ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ وقد بينت ما في الآية آنفاً.

التعيير: وهذا ما ورد في قوله ـ تعالى ـ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] لأنهم أهل كتاب وعلم فكيف يبغون هذا الحكم؟.

التعجب: وهذا ما يلمح في قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣] لأنه قد أوضح الله لهم الحكم في التوراة فكيف يبغون تحكيمك؟ **إفادة إن المستفهم عن أمره مشهور** ذائع كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] وفيه تشويق إلى سماع هذا النبأ.

الاستبطاء: وهذا ما لمحه العلماء في قوله ـ تعالى ـ حكاية ـ عن اجتماع سحرة فرعون والناس معهم ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: ٣٩، ٤٠] فهذا الاستفهام فيه استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم وحثهم على المسارعة.

لفت المسؤول إلى المسؤول ليتبينه تمهيداً الإحداث أمر عظيم فيه كما في قوله ـ سبحانه لنبيه موسى ـ عليه السلام ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧] فالقصد إلى بيان عظمة المولى ـ عز وجل ـ في هذه العصا وهي خشبة يابسة من قلبها حية بقدرته جل وعلا ـ، وهذا ما يفعله السحرة، لكن شتان بين قدرة القادر، وفعل الساحر العاجز. وهناك معانٍ أخرى في حاجة إلى فحص كلام المولى في مقاماته المختلفة، ومن أراد المراجعة فعليه بالمصنفات التي جمعت الاستفهام في القرآن الكريم، وفي ذلك رسائل جامعية في جامعة الأزهر وسواها.

وبعد أن بينت بعض المعاني المجازية أقول: هل أشار الزمخشري إلى وجه تحصيل هذه المعاني من أدوات الاستفهام؟ وكيف دلت هذه الأدوات عليها؟ بطريق الحقيقة أم بالمجاز أم بطريق أنها من مستتبعات التراكيب؟

والحقيقة أننا لا نجد جواباً شافياً عند الزمخشري، وقد تعسف المتأخرون في العلاقات بين الاستفهام بأداته والمعنى المراد كما بيناه.

والعلامة الزمخشري كان دائماً يقصد إلى المعنى المراد ولا يلتفت إلى وجه الاستعمال.

«يراجع البلاغة القرآنية د. محمد أبو موسى ٣٥٦ وما بعدها» كما تنظر المراجع السابقة بصفحاتها.

هذا ما كان من أمر الاستفهام في معناه الحقيقي وما يرمز إليه من معانٍ مجازية جاءت من طبيعة المقام ومستتبعات التراكيب، وفيما سردته إشارة لما أراد الغاية والهداية، وفي المراجعات فوائد ومهمات، أما جواب الاستفهام فقد ركزه العلامة أبو موسى في مصنفه البلاغة القرآنية بصورة لطيفة موجزة مغنية، وخلاصة ذلك في النقاط الآتية:

١ ـ يأتي الجواب غير مباشر لملاحظة دقيقة كالزيادة والتعميم عما يتطلبه السؤال في مقام الابتهاج والافتخار، وهذا ما لحظه الزمخشري عند قوله ـ سبحانه ـ:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٧٠، ٧١] وكان يكفي في الجواب: أصناما كما جاء الجواب في قوله ـ تعالى ـ: =

ويتظنن[1]، وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء، يعني: أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا، كالصمّ والعمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول، وقوله: ﴿أَفَأَنتَ . . . أَفَأَنتَ﴾[2]: دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله ـ عزّ وجلّ ـ بالقسر والإلجاء، كما لا يقدر على ردّ الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل. إلا هو وحده.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال/ ٣١٧أ الكتب، ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب؛ ويجوز: أن يكون وعيداً للمكذبين، يعني: أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب، ولا يظلمهم الله به، ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سبباً فيه.

= ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] ولكن المولى القدير الخبير أتى بما تكنه صدورهم وعبرت عنهم أفواههم.

٢ ـ وقد يأتي الجواب مؤكداً على أحد معاني السؤال تاركاً سواه كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿۞ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٣، ٨٤] فالسؤال عن سبب العجلة وجوابه بنحو، طلب زيادة.

رضاك ـ مثلاً ـ، ولكن الجواب جاء بهذا النظم لبيان العذر والعلة، وأنه لم يوجد منه تقدم كبير وإنما هو كتقدم رأس الوفد، ثم جاء جواب السؤال ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣ ـ وقد يكون في الجواب تهديد لينطبق على ما في السؤال من إنكار، ويلحظ هذا في قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ [سبأ: ٢٩، ٣٠] فهم منكرون البعث متهكمون بقولهم هذا، فلا أن يكون الجواب قويا واقعاً لباطلهم.

٤ ـ وقد يكون الجواب غير ما في السؤال، لأن السؤال عن شيء واضح مشهور، ثم ينبني على هذا الجواب كلام يوجبه المقام، ولهذا يكون ذكر الكلام بهذا الطريق توكيد لجواب السؤال وتقرير له ويتضح هذا في قوله ـ تعالى ـ:

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥] والجواب العادي لهذا السؤال: مرسل، ولكنهم جعلوا هذا الجواب معلوماً لا يحتاج إلى بيان وإنما الكلام الذي يجب أن يعلموه هو: إنا آمنا به، ولهذا جاء جواب الكثرة عليهم «إنا بالذي آمنتم به كافرون» فوضعوا «آمنتم به» موضع «أرسل به» لأنهم حولوا البيان إلى ما يجب.

هذا ما كان من أمر الجواب للسؤال القرآني وأسراره، والمدقق يلاحظ أنماطاً بلاغية عجيبة؛ لأن الذي نظم آيات القرآن هو العليم بأسرار النفوس، الخبير بما تنطوي عليه الصدور، ونحن بتوفيق الله لنا نصل إلى بعض هذه المعاني، فالقرآن لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة التزداد، وصدق رب العالمين إذ يقول فينا:

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

«يراجع البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د. محمد أبو موسى ٣٦٦ وما بعدها».

(١) قوله: «ويتظنن» أي يعمل ظنه. أفاده الصحاح (ع).

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: يستقربون وقت لبثهم في الدنيا، وقيل: في القبور؛ لهول ما يرون، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً، كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً؛ وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم؛ لشدّة الأمر عليهم.

فإن قلت: (كأن لم يلبثوا)، و(يتعارفون)، كيف موقعهما؟

قلت أما الأولى: فحال من «هم»، أي: يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة، وأما الثانية: فإما أن تتعلق بالظرف، وإما أن تكون مبينة؛ لقوله: «كأن لم يلبثوا إلا ساعة»؛ لأنّ التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكراً ﴿قَدْ خَسِرَ﴾: على إرادة القول، أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هي شهادة من الله ـ تعالى ـ على خسرانهم، والمعنى: أنهم وضعوا في تجارتهم[1] وبيعهم الإيمان بالكفر، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾: للتجارة عارفين بها، وهو استئناف فيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أخسرهم!.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: جواب نتوفينك، وجواب نرينك محذوف، كأنه قيل: وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة.

فإن قلت: الله شهيد على ما يفعلون في الدارين، فما معنى ثم؟

قلت: ذكرت الشهادة، والمراد: مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب، كأنه قال: ثم الله معاقب على ما يفعلون، وقرأ ابن أبي عبلة: «ثَمّ»، بالفتح، أي: هنالك، ويجوز أن يراد: أنّ الله مؤدّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة؛ حين ينطق جلودهم، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، شاهدة عليهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾: يبعث إليهم؛ لينبههم على التوحيد، ويدعوهم إلى دين الحق، ﴿فَإِذَا جَآءَ﴾: هم ﴿رَسُولُهُمْ﴾: بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه، ﴿قضي بينهم﴾ أي: بين النبي ومكذبيه، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، فأنجى الرسول وعذب المكذبون؛ كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، أو لكل أمّة من الأمم يوم القيامة رسولٌ تنسب إليه وتدعى به، فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان؛ كقوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ

(١) قوله: «وضعوا في تجارتهم» في الصحاح: وضع الرجل في تجارته وأوضع ـ على ما لم يسم فاعله ـ وضعاً فيهما، أي خسر (ع).

بِالنَّبِيِّـۧنَ وَالشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾: استعجال لما وعدوا من العذاب استبعاداً له، ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾: من مرض أو فقر، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: من صحة أو غنى، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾: استثناء منقطع: أي: ولكن ما شاء الله من ذلك كائن، فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يعني: أن عذابكم له أجل مضروب عند الله، وحدّ محدود من الزمان، ﴿إِذَا جَآءَ﴾: ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة، فلا تستعجلوا، وقرأ ابن سيرين/ ٣١٧ب: «فإذا جاء آجالهم».

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿بَيَٰتًا﴾: نصب على الظرف، بمعنى وقت بيات.

فإن قلت: هلا قيل: ليلاً أو نهاراً؟

قلت: لأنه أريد: إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون، كما يبيت العدو المباغت، والبيات بمعنى: التبييت، كالسلام بمعنى: التسليم، وكذلك قوله: ﴿نَهَارًا﴾ معناه: في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب؛ ونحوه: ﴿بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأعراف: ٩٨]، الضمير في ﴿مِنْهُ﴾: للعذاب، والمعنى: أن العذاب كله مكروه مرّ المذاق موجب للنفار، فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال، ويجوز أن يكون معناه: التعجب؛ كأنه قيل: أي شيء هول شديد[1] يستعجلون منه، ويجب أن تكون «من»: للبيان في هذا الوجه، وقيل: الضمير في (منه): لله تعالى.

فإن قلت: بم تعلق الاستفهام؟ وأين جواب الشرط؟

قلت: تعلق بأرأيتم؛ لأنّ المعنى: أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون، وجواب الشرط محذوف، وهو: تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ فيه.

---

(١) قوله: «أي شيء هول شديد» لعله أي شيء أتى هولاً شديداً.

فإن قلت: فهلا قيل: ماذا تستعجلون منه[1]؟

قلت: أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام؛ لأنّ من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه، ويهلك فزعاً من مجيئه وإن أبطأ، فضلاً أن يستعجله، ويجوز أن يكون: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: جواباً للشرط؛ كقولك: إن أتيتك ماذا تطعمني؟ ثم تتعلق الجملة بأرأيتم، وأن يكون: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ جواب الشرط، و﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: اعتراضاً، والمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، ودخول حرف الاستفهام على ثم، كدخوله على الواو والفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٨]. ﴿الآنَ﴾: على إرادة القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به، ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ يعني: وقد كنتم به تكذبون؛ لأنّ استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار، وقرىء: «آلان»، بحذف الهمزة التي بعد اللام، وإلقاء حركتها على اللام، ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾: عطف على «قيل» المضمر قبل «آلآن».

﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ويستنبئونك﴾: ويستخبرونك فيقولون، ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء، وقرأ الأعمش: «آلحق هو»، وهو أدخل في الاستهزاء؛ لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل؛ وذلك أنّ اللام للجنس، فكأنه قيل: أهو الحق لا الباطل؟ أو أهو الذي سميتموه الحق، والضمير للعذاب الموعود، و﴿إي﴾ بمعنى: «نعم» في القسم خاصة، كما كان «هل» بمعنى: «قد» في الاستفهام خاصة، وسمعتهم يقولون في التصديق: «إيوَ»، فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين العذاب، وهو لاحق بهم لا محالة.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ظَلَمَتْ﴾: صفة لنفس على: ولو أنّ لكل نفس ظالمة، ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما في

---

(١) قال محمود: «إن قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه... إلخ»؟ قال أحمد: وفي هذا النوع البليغ نكتتان، إحداهما: وضع الظاهر مكان المضمر. والأخرى: ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للمصدر، وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة، والله أعلم.

الدنيا اليوم من خزائنها، وأموالها، وجميع منافعها على كثرتها، ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦٓۗ﴾: لجعلته فدية لها، يقال: فداه فافتدى، ويقال: افتداه/ ٣١٨أ ـ أيضاً ـ بمعنى: فداه، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾؛ لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم، وعاينوا من شدّة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم، فلم يطيقوا عنده بكاء، ولا صراخاً، ولا ما يفعله الجازع، سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب؛ كما ترى المقدّم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب، ويغلب حتى لا ينبس بكلمة[1]، ويبقى جامداً مبهوتاً، وقيل: أسرّ رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم، حياء منهم وخوفاً من توبيخهم، وقيل: أسروها أخلصوها، إما لأن إخفاءها إخلاصها، وإما من قولهم: سرّ الشيء، لخالصه، وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة، وقيل: أسروا الندامة: أظهروها، من قولهم: أسر الشيء وأشره إذا أظهره، وليس هناك تجلد، ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ أي: بين الظالمين والمظلومين، دل على ذلك ذكر الظلم، ثم أتبع ذلك الإعلام بأنّ له الملك كله؛ وأنه المثيب المعاقب، وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق، وهو القادر على الإحياء والإماتة، لا يقدر عليهما غيره، وإلى حسابه وجزائه المرجع، ليعلم أن الأمر كذلك، فيخاف ويرجى، ولا يغتر به المغترون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾

﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾ أي: قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد، ﴿وَ﴾: هو ﴿شِفَآءٞ﴾ أي: دواء، ﴿لِّمَا فِي﴾: صدوركم من العقائد الفاسدة، ودعاء إلى الحق، ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾: لمن آمن به منكم، أصل الكلام: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، فبذلك فليفرحوا؛ والتكرير للتأكيد والتقرير، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين؛ لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط؛ كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح؛ فإنه لا مفروح به أحق منهما، ويجوز أن يراد: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا، ويجوز أن يراد: قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته، فبذلك: فبمجيئها فليفرحوا، وقرىء: «فلتفرحوا»، بالتاء وهو الأصل والقياس[2]، وهي قراءة رسول الله ـ ﷺ ـ فيما روي،

---

(١) قوله: «لا ينبس بكلمة» أي لا يتكلم. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «إنها لغة قليلة» يعني: أن القياس أن يؤمر المخاطب بصيغة (أفعل) وبهذا الأصل، قرأ أُبي «فافرحوا» وهي في مصحفه كذلك، وهذه قاعدة كلية، وهي: أن الأمر باللام يكثر في الغائب والمخاطب المبني للمفعول، مثال الأول: «ليقم زيد» وكالآية الكريمة =

وعنه: «لِتَأْخُذُوا مَضَاجِعَكُمْ» (٧٤٨) قالها في بعض الغزوات، وفي قراءة أبيّ: «فافرحوا»، ﴿هُوَ﴾: راجع إلى ذلك، وقرىء: «مما تجمعون»، بالياء والتاء، وعن أبيّ بن كعب أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾؛ فقال: «بكتاب الله والإسلام» (٧٤٩)، وقيل: «فضله»: الإسلام، «ورحمته»: ما وعد عليه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني، و﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: «ما» في موضع النصب بأنزل، أو بأرأيتم، في معنى: أخبرونيه، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ أي: أنزله الله رزقاً حلالاً كله فبعضتموه، وقلتم: هذا حلال وهذا حرام؛ كقولهم: ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: متعلق بأرأيتم، وقل: تكرير للتوكيد، والمعنى: أخبروني: آلله أذن لكم في التحليل/ ٣١٨ب والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تتكذبون على الله في نسبة ذلك

---

٧٤٨ ـ أخرجه التِّرمذي (٣٢٣٥)، وأحمد (٥/ ٢٤٣) من طريق مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل مرفوعاً، وهو حديث طويل.
وقال الحافظ: هذا طرف من حديث أخرجه التِّرمذي من حديث معاذ بن جبل قال: «أبطأ عنّا رسول الله ﷺ في صلاة الفجر حتى كادت الشمس تطلع، ثم خرج فأقيمت الصلاة، فصلى بنا صلاة تجوزها، فلمّا سلّم قال: كما أنتم على مصاعكم ـ الحديث» انتهى.

٧٤٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (٦/ ٥٦٨) موقوفاً على أبي سعيد الخدري رقم (١٧٦٨٣)، وهلال بن يساف رقم (١٧٦٨٥ ـ ١٧٦٨٦ ـ ١٧٦٨٧ ـ ١٧٦٨٨) و(٦/ ٥٦٩) موقوفاً أيضاً على قتادة رقم (١٧٦٩٠)، والحسن رقم (١٧٦٩١)، ومجاهد رقم (١٧٦٩٢)، وابن عباس رقم (١٧٦٩٥)، وزيد ابن أسلم رقم (١٧٦٩٩ ـ ١٧٧٠٠).
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على الخدري وعلي وابن عباس؛ كما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على ابن عباس؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٨)، وعزاه أيضاً إلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله﴾ فذكره. وعن ابن سعيد كذلك أخرجه الطبري، وروى ابن مردويه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «قل بفضل الله وبرحمته» قال: بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من الملة». انتهى.

= في قراءة الجمهور. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «لتأخذوا مضاجعكم» لعل الرواية «مصافكم» (ع).

obeikandl.com

إليه، ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار، وأم منقطعة بمعنى: بل أتفترون على الله، تقريراً للافتراء، وكفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وألاً يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: منصوب بالظنّ، وهو ظنّ واقع فيه، يعني: أي شيء ظنّ المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة، وهو وعيد عظيم؛ حيث أبهم أمره، وقرأ عيسى بن عمر: «وما ظنّ»، على لفظ الفعل، ومعناه: وأي ظنّ ظنوا يوم القيمة، وجيء به على لفظ الماضي؛ لأنه كائن فكأن قد كان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ حيث أنعم عليهم بالعقل، ورحمهم بالوحي، وتعليم الحلال والحرام، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾: «ما» نافية، والخطاب لرسول الله ـ ﷺ ـ «والشأن»: الأمر، وأصله: الهمز، بمعنى: القصد، من شأنت شأنه إذا قصدت قصده، والضمير في: ﴿مِنْهُ﴾: للشأن؛ لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله ـ ﷺ ـ بل هو معظم شأنه، أو للتنزيل، كأنه قيل: وما تتلو من التنزيل من قرآن؛ لأنّ كلّ جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذكر تفخيم له، أو لله ـ عزّ وجلّ ـ وما ﴿تَعْمَلُونَ﴾: أنتم جميعاً، ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾: أيّ عمل كان، ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: شاهدين رقباء نحصي عليكم، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه، ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: قرىء بالضم والكسر: «وما يبعد، وما يغيب»، ومنه: الروض العازب، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾: القراءة بالنصب والرفع، والوجه النصب على نفي الجنس، والرفع على الابتداء؛ ليكون كلاماً برأسه، وفي العطف على محل: ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، أو على لفظ: (مثقال ذرّة)، فتحاً في موضع الجرّ؛ لامتناع الصرف: إشكال، لأنّ قولك: «لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب» مشكل.

فإن قلت: لم قدّمت الأرض على السماء، بخلاف قوله في سورة سبأ: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؟

قلت: حق السماء أن تقدم على الأرض، ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم، ووصل بذلك قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾: لاءم ذلك أن قدّم الأرض على السماء، على أنّ العطف بالواو حكمه حكم التثنية.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة، وقد فسر ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، فهو توليهم إياه، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: فهو توليه إياهم، وعن سعيد بن جبير أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ/ ٣١٩أ سُئل: من أولياء الله؟ فقال: «هُم الَّذِينَ يُذْكَرُ اللهُ بِرُؤْيَتِهِمْ» (٧٥٠) يعني: السمت والهيئة، وعن ابن

---

٧٥٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٢٨): هكذا ذكره المصنف مرسلاً، وقد رُوِي مرسلاً ومسنداً. أ.هـ.

قلتُ: وروى أيضاً موقوفاً.

فالمسند:

أخرجه النَّسائي في تفسيره لسورة يونس (١/ ٥٧١) رقم (٢٥٥)، وابن المبارك في كتابه «الزهد والرقائق»: (ص٧٢) رقم (٢١٨)، والطبراني في «الكبير»: (١٢/ ١٣) رقم (١٢٣٢٥)، والواحدي في تفسيره (٢/ ٥٥٢).

كلهم من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٩) وقال: رواه الطبراني عن شيخه الفضل بن أبي روح ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. أ.هـ.

كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٦)، وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس مرفوعاً.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٢٨) إلى الحكيم التِّرمذي في نوادر الأصول والبزار في مسنده.

وأمّا المرسل:

فأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٧/ ٧٩) رقم (٣٤٣٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦) و(٧/ ٢٣١)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٥) رقم (١٧٧٢٣)، وابن المبارك في الزهد ص (٧٢) رقم (٢١٧)، وابن مردويه في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٩).

كلهم من طرق مختلفة عن سعيد بن جبير مرسلاً.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٦)، وزاد نسبته لأبي الشيخ عن سعيد بن جبير مرسلاً.

وأما الموقوف:

فأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٥) رقم (١٧٧١٨) بسنده عن مقسم وسعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٦)، وزاد نسبته إلى الطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس موقوفاً.

وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد:

أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٩): كتاب الزهد: باب مَنْ لا يُؤبه له، حديث (٤١١٩)، وأحمد (٦/ ٤٥٩)، وعبد بن حميد (ص ٤٥٧) رقم (١٥٨٠ ـ منتخب) والطبراني في الكبير (٢٤/

عباس ـ رضي الله عنه ـ: الإخبات والسكينة، وقيل: هم المتحابون في الله، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: سمعت النبيّ ـ ﷺ ـ يقول «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِباداً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ» قالوا: يا رسول الله، خَبِّرْنَا مَنْ هُمْ، وَمَا أَعْمَالُهُمْ؟ فَلَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ عَلَىٰ غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا، فَوَاللهِ، إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» ثم قرأ الآية (٧٥١)، (الذين آمنوا): نصب أو

= ١٦٧ ـ ١٦٨) رقم (٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥)؛ كلهم من طرق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ . . . الحديث. وقال البوصيري في «الزوائد»: (٣/ ٢٧٣): هذا إسناد حسن وشهر بن حوشب وسويد بن سعيد مختلف فيهما، وباقي رجال الإسناد ثقات. أ.هـ.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩٦) بعد أن نسبه لأحمد وحده: وفيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح. أ.هـ والحديث ذكره السيوطي في «الدر»: (٣/ ٥٥٧)، وزاد نسبته للحكيم التِّرمذي وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد به وله شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن غنم مرفوعاً:

أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧) عن سفيان عن ابن أبي الحسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذ رُئوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشّاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون البراء العنت».

وعبد الرحمن بن غنم مختلف في صحبته، وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين.

وله شاهد آخر من حديث عمرو بن الجموح مرفوعاً:

أخرجه أحمد (١/ ٤٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١/ ٩٢)، وقال: «وفيه رشدين بن سعد، وهو منقطع ضعيف».

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٧)، وزاد نسبته إلى الحكيم التِّرمذي.

قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عنه به، وابن مردويه من طريق يحيى الحمامي عن يعقوب السهمي عن جعفر كذلك ووصله، والبزار من رواية محمد بن سعيد بن سابق عن يعقوب يذكر ابن عباس. قال: سئل رسول الله ﷺ عن الأولياء قال: الذين إذا رئوا ذكر الله. قال البزار: رواه غير محمد عن يعقوب بغير ابن عباس. انتهى.

٧٥١ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٢٨٨): كتاب البيوع: باب في الرهن، حديث (٣٥٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٨٦) رقم (٨٩٩٨ ـ ٨٩٩٩)، ثم قال: وأبو زرعة عن عمر مرسل أ.هـ. والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٦) رقم (١٧٧٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥)، والواحدي في تفسيره (٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده، وأبي القاسم الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٠).

كلهم من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب، فذكره.

وقد روي هذا الحديث من حديث أبي هريرة، وأبي مالك الأشعري، وابن عمر، والعلاء بن زياد، وأنس، وأبي الدرداء. =

رفع على المدح، أو على وصف الأولياء، أو على الابتداء والخبر لهم البشرى، والبشرى

= فحديث أبي هريرة:
أخرجه النَّسائي في التفسير (١/ ٥٧٤)، وابن حِبان في صحيحه (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) رقم (٥٧٣)، وأبو يعلى في مسنده: «(١٠/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦) حديث (٦١١٠)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٥) رقم (١٧٧٢٨) كلهم من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زُرعة عن أبي هريرة به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة به.
وأما حديث أبي مالك الأشعري:
أخرجه أحمد (٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٦/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧) رقم (٩٠٠١)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) رقم (٦٨٤٢)، وابن المبارك في «الزهد»: ص (٢٤٨ ـ ٢٤٩) رقم (٧١٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٠١) رقم (٢٠٣٢٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ٣٢٩) رقم (٣٤٣٣)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٦) رقم (١٧٧٣٠)؛ كلهم من طريق ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الأشعري به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٩)، وقال: رواه أحمد كله، والطبراني بنحوه... ورجاله وثقوا. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٨)، وزاد نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي مالك الأشعري به.
وأما حديث ابن عمر:
فأخرجه الحاكم في مستدركه: (٤/ ١٧٠، ١٧١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٧).
وأما حديث العلاء بن زياد:
فأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي: (٢/ ١٣١).
وقال ابن حجر: وعن العلاء بن زياد مرسلاً، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٩).
وأما حديث أنس:
فأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (١/ ٣٦٧) رقم (٤٠٩)، وقال ابن حجر: وفيه واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي، وهما ضعيفان.
وأخرجه ابن عديّ في الكامل، والعقيلي في الضعفاء وأعلاه بواقد، قال ابن عديّ: لم يصح حديثه، ونقل العقيلي عن البخاري نحوه، قال: ولا يتابع عليه إلا من طريق يقاربه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣١).
وأما حديث أبي الدرداء:
فذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٠)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه إسحاق بن راهويه والطبري، وأبو نعيم في أوائل الحلية، والبيهقي في الشعب من رواية جرير عن عمارة بن غزية عن أبي زرعة عن عمر به. قال البيهقي: أبو زرعة عن عمر مرسل. ورواه ابن مردويه من وجه آخر يذكر أبي هريرة بين أبي زرعة وعمر، ورواه النَّسائي وابن حِبان من =

في الدنيا: ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه، وعن النبيّ ـ ﷺ ـ: هي «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُسْلِمُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ» (٧٥٢)، وعنه عليه الصلاة والسلام: «ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ المُبَشِّرَاتُ» (٧٥٣) وقيل: هي محبة الناس له والذكر الحسن، وعن أبي ذر:

= وجه آخر عن أبي زرعة عن أبي هريرة. فلم يذكر عمر. وفي الباب عن أنس أخرجه ابن عديّ والعقيلي، والبيهقي في الشعب أيضاً في العاشر منه، وفيه واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي. وهما ضعيفان. وعن أبي الدرداء أخرجه الطبراني وفيه فرج بن فضالة وهو ساقط. وعن أبي مالك الأشعري. أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه الطبراني والبيهقي وفيه شهر بن حوشب، وعن ابن عمر أخرجه الحاكم من رواية زياد بن خيثمة عنه. وعن العلاء بن زياد مرسلاً. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. انتهى.

٧٥٢ ـ أخرجه التِّرمذي (٢٢٧٥) وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٨٣): كتاب تعبير الرؤيا: باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، حديث (٣٨٩٨)، والدارمي (٢/ ١٢٣): كتاب الرؤيا: باب في قوله تعالى «لهم البشرى في الحياة الدنيا»، وأحمد (٥/ ٣١٥، ٣٢١) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن عبادة بن الصامت به.

وأخرجه التِّرمذي (٢٢٧٣)، وأخرجه أحمد (٦/ ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٢)، والحميدي (٢/ ١٩٣)، حديث (٣٩١، ٣٩٢)، من طريق عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التِّرمذي وابن ماجه، والحاكم والبيهقي وأحمد، وإسحاق من طريق أبي سلمة عن عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾، قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، رجاله ثقات: إلا أنه معلول؛ فإن أبا سلمة لم يسمع من عبادة، وقد أخرجه التِّرمذي والحاكم أيضاً عن أبي سلمة قال: نبئت عن عبادة، وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية حميد بن عبد الرحمن المرسي عن عبادة. وأخرجه التِّرمذي أيضاً وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة، وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من طريق عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر: سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾، قال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، زاد بعضهم: «وفي الآخرة الجنة» قال ابن أبي حاتم عن أبيه: هذا الرجل لا يعرف. وفي الباب عن ابن مسعود أخرجه ابن مردويه بلفظ: «سألت رسول الله ﷺ فذكر مثل حديث عبادة»، وعن جابر بن عبد الله بن رباب أخرجه البزار، وابن عديّ ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عنه مرفوعاً في قوله تعالى: (لهم البشرى). الحديث.

وعن جابر أخرجه ابن مردويه من رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر عن جابر. قال: جابر هذا هو ابن رباب. كذا قال فأخطأ. وقد أخرجه من وجه آخر عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أبي هريرة، أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية عمار بن محمد عن الأعمش عن أبي صالح عنه. قيل: انفرد به عمار. لكن أخرجه النسائي في الكنى من رواية إسحاق بن عبد الرحمن بن عمر: أن الأعمش حدثه، فذكره. وقال: أبو إسحاق لا أعرفه. والحديث خطأ. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه النسائي، وأبو يعلى من رواية دراج عن عبد الرحمن بن جبير عنه. وزاد: «الرؤيا جزء من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة». انتهى.

٧٥٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٥): رُوِي من حديث حذيفة بن أسيد، ومن حديث أبي =

قلت لرسول الله ـ ﷺ ـ: الرجل يعمل العمل لله، ويحبه الناس، فقال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (٧٥٤)، وعن عطاء: لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة، قال الله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]،

= الطفيل ومن حديث أم كرز الكعبية. أهـ.

أما حديث حذيفة بن أسيد:

أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٠٠) رقم (٣٠٥١)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٧٦)، وقال: رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني ثقات. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٠)، وعزاه إلى ابن مردويه وأما حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة:

فأخرجه أحمد في مسنده: (٥/ ٤٥٤)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٥) إلى البخاري في تاريخه الوسط في باب العين المهملة في ترجمة عثمان بن عبيد، وإلى الطبراني في معجمه، وإلى أبي يعلى الموصلي في مسنده.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٠)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وأحمد وابن مردويه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة به، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٦)، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات. أ. هـ.

وأما حديث أم كرز الكعبية:

فأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٨٣)، كتاب تعبير الرؤيا: باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، حديث (٣٨٩٦)، وأحمد (٦/ ٣٨١)، والدارمي (٢/ ١٢٣): كتاب الرؤيا: باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، والحميدي (١/ ١٦٧) رقم (٣٤٨)، وابن حِبان (١٣/ ٤١١) رقم (٦٠٤٧)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٩) رقم (١٧٧٤٧).

كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي زيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية به. وذكره البوصيري في «الزوائد» (١/ ١٤٢)، وقال: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وللحديث شواهد أيضاً من طريق عائشة وأبي هريرة وابن عباس.

فأما حديث عائشة:

فأخرجه أحمد (٦/ ١٢٩) من طريق سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٠) وزاد نسبته إلا ابن مردويه.

وأما حديث أبي هريرة:

فأخرجه البخاري (١٤/ ٤٠١): كتاب التعبير، باب المبشرات، حديث (٦٩٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢/ ٨٨)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٩١ ـ بتحقيقنا) رقم (٣١٦٥)؛ كلهم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة بنحوه مرفوعاً، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦١).

وأما حديث ابن عباس:

فأخرجه ابن حِبان (١٣/ ٤١٠ ـ ٤١١) رقم (٦٠٤٥ ـ ٦٠٤٦) بنحوه.

٧٥٤ ـ أخرجه مسلم (٨/ ٤٣٨ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (١٦٦/ ٢٦٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٢): كتاب الزهد: باب الثناء الحسن، حديث (٤٢٢٥) كلاهما من طريق أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر به.

قال الحافظ: في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم بلفظ: «فتحبه وتحمده الناس عليه» انتهى.

وأمّا البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة، وما يرون من بياض وجوههم، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وما يقرؤون منها، وغير ذلك من البشارات، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده؛ كقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩]، و﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين، وكلتا الجملتين اعتراض.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾، وقرىء: «ولا يحزنك»، من أحزنه، ﴿قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم لك، وتهديدهم، وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك، وسائر ما يتكلمون به في شأنك، ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾: استئناف بمعنى: التعليل، كأنه قيل: مالي لا أحزن؟ فقيل: إنّ العزة لله جميعاً، أي: إن الغلبة والقهر في ملكة الله جميعاً، لا يملك أحد شيئاً منها لاهم ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصرك عليهم، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]. وقرأ أبو حيوة: «أن العزة»، بالفتح، بمعنى: لأن العزة على صريح التعليل، ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره، فالمنكر هو تخريجه، لا ما أنكر من القراءة به، ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: يسمع ما يقولون، ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه، وهو مكافئهم بذلك.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان؛ وإنما خصهم، ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له في ملكته فهم عبيد كلهم، وهو سبحانه وتعالى ربهم/ ٣١٩ب ولا يصلح أحد منهم للربوبية، ولا أن يكون شريكاً له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحق ألا يكون له ندًّا وشريكاً، وليدلّ على أنّ من اتخذ غيره رباً من ملك أو إنسي فضلاً عن صنم أو غير ذلك، فهو مبطل، تابع لما أدّى إليه التقليد وترك النظر، ومعنى: «وما يتبعون شركاء»، أي: وما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمونها: شركاء؛ لأنّ شركة الله في الربوبية محال، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا﴾: ظنهم أنها شركاء، ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾: يحزرون، ويقدرون أن تكون شركاء تقديراً باطلاً، ويجوز أن يكون: (وما يتبع): في معنى الاستفهام، يعني: وأي شيء يتبعون، و(شركاء): على هذا نصب بيدعون، وعلى الأوّل بيتبع، وكان حقه، وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء

شركاء، فاقتصر على أحدهما؛ لدلالة[1]، ويجوز أن تكون «ما»: موصولة معطوفة على: «من»؛ كأنه قيل: والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم، وقرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «تدعون»، بالتاء، ووجهه أن يحمل: (وما يتبع) على الاستفهام، أي: وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين، يعني: أنهم يتبعون الله ويطيعونه، فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم؟ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال: إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٦٧﴾

ثم نبه على عظيم قدرته، ونعمته: الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة؛ بأنه جعل لهم الليل مظلماً ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردّد في المعاش، والنهار مضيئاً يبصرون فيه مطالب أرزاقهم، ومكاسبهم، ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾: سماع معتبر مذّكر.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٨﴾

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزيه له عن اتخاذ الولد، وتعجب من كلمتهم الحمقاء، ﴿هو الغني﴾: علة لنفي الولد؛ لأنّ ما يطلب به الولد من يلد، وما يطلبه له السبب في كله الحاجة، فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيًا، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولداً، ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾: ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله: (إن عندكم) على أن يجعل القول مكاناً للسلطان؛ كقولك: ما عندكم بأرضكم موز، كأنه قيل: إن عندكم فيما تقولون سلطان، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين، فدلّ على أنّ كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس يعلم.

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي ذكره الزمخشري قد ردّه مكي بن أبي طالب وأبو البقاء، أما مكي فقال: انتصب «شركاء» بـ «يدعون» ومفعول «يتبع» قام مقامه «إن يتبعون إلا الظن» لأنه هو، ولا ينتصب الشركاء بـ «يتبع»، لأنك تنفي عنهم ذلك والله قد أخبر به عنهم. انتهى. الدر المصون.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بإضافة الولد إليه، ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: افتراؤهم/ ٣٢٠أ هذا منفعة قليلة في الدنيا؛ وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي ـ ﷺ ـ بالتظاهر به، ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿كَبُرَ عَلَيْكُم﴾: عظم عليكم وشق وثقل، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ويقال: تعاظمه الأمر، ﴿مَّقَامِى﴾: مكاني، يعني: نفسه، كما تقول: فعلت كذا لمكان فلان، وفلان ثقيل الظل، ومنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بمعنى: خاف ربه، أو قيامي[1] ومكثي بين أظهركم مدداً طوالاً ألف سنة إلا خمسين عاماً، أو مقامي[2] وتذكيري؛ لأنهم كانوا إذا وعظواالجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم؛ ليكون مكانهم بيناً وكلامهم مسموعاً، كما يحكى عن عيسى ـ صلوات الله عليه ـ أنه كان يعظ الحواريين قائماً وهم قعود، ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: من أجمع الأمر وأزمعه، إذا نواه وعزم عليه؛ قال [من الكامل]:

.... هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْماً وَأَمْرِيَ مُجْمَعُ؟[3]

---

(١) قوله: «أو قيامي ومكثي» لعله أو مقامي بالضم (ع).

(٢) قوله: «أو مقامي وتذكيري» لعل هذا أو قيامي (ع).

(٣) يا ليت شعري والحوادث جمة   هل أغدون يوماً وأمري مجمع

قوله: «والحوادث جمة» أي كثيرة. جملة اعتراضية. وأغدون: مؤكد بالنون الخفيفة. وأمري مجمع: أي منوي مجزوم بامتثاله. أو المعنى: وشملي مجتمع بعد تفرقه، وهي جملة حالية مغنية عن خبر أغدون. أو خبرها. وزيدت الواو لتوكيد الربط. وأجمع يتعلق بالمعقول، وجمع يتعلق بالمحسوس.

ينظر: إصلاح المنطق ص ٢٦٣، وأمالي المرتضى ١/٥٥٩، والخصائص ٢/١٣٦، والدرر ٤/ ٢٠، وشرح شواهد المغني ٢/٨١١، ولسان العرب (جمع)، ١٤/٣٥٧ (رمى)، ومغني اللبيب ٢/ =

obeikandi.com

والواو بمعنى: «مع»، يعني: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، وقرأ الحسن: «وشركاؤكم» بالرفع، عطفاً على الضمير المتصل، وجاز من غير تأكيد بالمنفصل؛ لقيام الفاصل مقامه؛ لطول الكلام، كما تقول: اضرب زيداً وعمرو، وقرىء: «فاجمعوا» من الجمع، وشركاءكم: نصب للعطف على المفعول، أو لأنّ الواو بمعنى: «مع»، وفي قراءة أبيّ: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم.

فإن قلت: كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء؟

قلت: على وجه التهكم؛ كقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

فإن قلت: ما معنى الأمرين؟ أمرهم الذي يجمعونه، وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة؟

قلت: أمّا الأمر الأوّل: فالقصد إلى إهلاكه، يعني: فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه، وابذلوا وسعكم في كيدي؛ وإنما قال ذلك إظهاراً لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه، وأنهم لن يجدوا إليه سبيلاً.

وأما الثاني ففيه وجهان:

أحدهما: أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم، يعني: ثم أهلكوني؛ لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة، أي: غمّا وهمّا، والغم والغمة: كالكرب والكربة.

والثاني: أن يراد به ما أريد بالأمر الأول، والغمة السترة من غمه إذا ستره؛ ومنها قوله عليه السلام: «وَلاَ غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللهِ» (٧٥٥) أي: لا تستر، ولكن يجاهر بها، يعني: ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستوراً[1] عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهرونني به، ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾: ذلك الأمر الذي تريدون بي، أي: أدوا إليَّ قطعه وتصحيحه؛ كقوله

---

٧٥٥ ـ ذكره القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»: (١/ ٩٩ ـ ١٠٠) في فصل فصاحته ﷺ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

هو طرف من حديث وائل بن حجر في كتاب النبي ﷺ إلى الأقيال، وفيه: «ولا يؤصم في الدين ولا غمة في فرائض الله، وقال: الغمة السترة، أي لا تستر في فرائض الله، بل ظاهر بها. انتهى.

= ٣٨٨، ونوادر أبي زيد ص ١٣٣، وهمع الهوامع ١/ ٢٤٧، وتاج العروس (جمع)، وتهذيب اللغة ١/ ٣٩٦.

(١) قوله: «مستوراً عليكم» لعله أراد ملتبساً، فلذا قال عليكم، كما أشار إليه النسفي (ع).

تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، أو أدّوا إليّ ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: ولا تمهلوني، وقرىء: «ثم أفضوا إليّ»، بالفاء، بمعنى: ثم انتهوا إليّ بشرّكم، وقيل: هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء، أي: أصحروا به إليّ وأبرزوه لي، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي/ ٣٢٠ب، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة، أي: ما نصحتكم إلا لوجه الله، لا لغرض من أغراض الدنيا، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]: الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئاً، ولا يطلبون به دنيا، يريد: أن ذلك مقتضى الإسلام، والذي كل مسلم مأمور به، والمراد: أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرىء ساحته، فذكر أن توليهم لم يكن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه؛ وإنما ذلك لعنادهم وتمرّدهم لا غير، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فتموا على تكذيبه[1]، وكان تكذيبهم له في آخر المدّة المتطاولة كتكذيبهم في أوّلها؛ وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: يخلفون الهالكين بالغرق، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن أنذرهم رسول الله ـ ﷺ ـ عن مثله، وتسلية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد نوح، ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ يعني: هوداً، وصالحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعيباً، ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم، ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: فما كان إيمانهم إلا ممتنعاً كالمحال لشدّة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق، فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها، كأن لم يبعث إليهم أحد، ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: مثل ذلك الطبع المحكم نطبع، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم؛ لأنّ الخذلان يتبعه؛ ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ

---

(١) قوله: «فتموا على تكذيبه» أي استمروا. أفاده الصحاح (ع).

لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿من بعدهم﴾: من بعد الرسل، ﴿بآياتنا﴾: بالآيات التسع، ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: عن قبولها، وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها، ويتعظموا عن تقبلها، ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: كفاراً ذوي آثام عظام؛ فلذلك استكبروا عنها، واجترؤوا على ردّها، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: فلما عرفوا أنه هو الحق، وأنه من عند الله، لا من قبل موسى وهارون، ﴿قَالُوٓاْ﴾: لحبهم الشهوات، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: وهم يعلمون أنّ الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويهاً وباطلاً.

فإن قلت: هم قطعوا بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ على أنه سحر[1]، فكيف قيل لهم: أتقولون أسحر هذا؟

قلت: فيه أوجه: أن يكون معنى قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾: أتعيبونه وتطعنون فيه، وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه، من قولهم: فلان يخاف القالة، وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه؛ ونحو القول: الذكر، في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ثم قال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾، فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه، وأن يحذف مفعول: أتقولون، وهو ما دل عليه قولهم، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: كأنه قيل/ ٣٢١أ: أتقولون ما تقولون، يعني: قولهم: إن هذا لسحر مبين، ثم قيل: أسحر هذا؟ وأن يكون جملة قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: حكاية لكلامهم، كأنهم قالوا: أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: كما قال موسى للسحرة: «ما جئتم به السحر، إنّ الله سيبطله»، ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا، واللفت والفتل: أخوان، ومطاوعهما الالتفات والانفتال، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾، يعنون: عبادة الأصنام، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي: الملك؛ لأنّ الملوك موصوفون بالكبر؛ ولذلك قيل للملك: الجبار، ووصف بالصيد والشوس؛ ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله [من الخفيف]:

مُلْكُهُ مُلْكُ رَأْفَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلاَ كِبْرِيَاءُ[2]

---

(١) قال محمود: «إن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر... إلخ» قال أحمد: وفي الفرق بين الوجهين غموض، وإيضاحه أن القول على الوجه الأول وقع كناية عن العيب، فلا يتقاضى مفعولاً وفي الثاني على أنه يطلب مفعولاً والله أعلم.

(٢) لعبد الله بن قيس الرقيات. وقيل: لقيس الرقيات يمدح مصعباً، سمي قيس الرقيات لأنه اتفق له أنه تزوج عدة نسوة، كل منهن تسمى رقية. وملك: وصف كحذر، فلذلك نصب «ملك رأفة» على المصدر. وروي «ملكه ملك» على المبتدأ والخبر. وضمير «فيه» للمصدر، أي: ليس في ملكه =

ينفي ما عليه الملوك من ذلك، ويجوز أن يقصدوا ذمّهما، وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا؛ كما قال القبطي لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدّقين لكما فيما جئتما به، وقرىء: «يطبع»، و«يكون لكما»، بالياء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿مَا جِئْتُم بِهِ﴾: ما موصولة واقعة مبتدأ، و﴿ٱلسِّحْرُ﴾: خبر، أي: الذي جئتم به هو السحر[1] لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله، وقرىء: «آلسحر»، على

= جبروت منه، أي من مصعب. ويحتمل أن الضميرين له. والجبروت: مبالغة في الجبر والقهر، أي: ليس فيه ذلك كغيره، فهو أعظم الملوك.

(١) قال محمود: «ما موصولة مبتدأ، والسحر خبر أي الذي جئتم به... إلخ» قال أحمد: وليس المراد في القراءة الأولى الإخبار بأن ما جاؤوا به سحر خاصة، ولكن مع تنزيه ما جاء به عن كونه سحراً. وإنما يستفاد ذلك مما في هذا النظم المخصوص من إفادة الحصر، ولو مرت بخاطر الإمام أبي المعالي في مسألة تحريمه التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على إفادة هذا النظم الحصر، فإنا نعلم أن موسى عليه السلام حيث أطلقه فإنما أراد إضافة السحر إلى ما جاؤوا به محصوراً فيه، حتى لا يتعدى إلى الحق الذي جاء به هو منه شيء. وأما القراءة الثانية ففيها ـ والله أعلم ـ إرشاد إلى أن قول موسى عليه السلام أو لا ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ حكاية لقولهم، ويكون ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ هو الذي قالوه، ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم أنهم قالوا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وذلك إما لأنهم قالوا الأمرين جميعاً: بدؤوا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقا، والاستهزاء بالحق إنكار له، بل قد يكون الاستفهام في بعض المواطن أبت من الإخبار. ألا ترى أنهم يقولون في قوله: آأنت أم سالم، أبلغ في البت من قوله: مخبراً أنت أم سالم؟ ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة ببت الإنكار ودعوى أنه سحر فقالوا: إن هذا لسحر مبين، فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني، ووبخهم موسى على قولهم الأول. ومعنى العبارتين ومآلهما واحد. وإما أن لا يكونوا قالوا سوى (أسحر هذا) على سبيل الإنكار حسبما تقدم، فحكاه الله تعالى عنهم بمآله، لأنه يعلم أن مرادهم من الاستفهام الإنكار وبت القول أنه سحر. وحكى موسى عليه السلام قولهم بلفظه، ولم يؤده بعبارة أخرى. وحكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محمل لها سوى أنها معان منقولة إلى اللغة العربية، فيترجم عنها بالألفاظ المترادفة المتساوية المعاني. وحاصل هذا البحث: أن قول موسى عليه السلام ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ إنما حكي فيه قولهم، ويرشد إلى ذلك أنه كافأهم عندما أتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهماً، فقال: ما جئتم به السحر؟ على قراءة الاستفهام قرضاً بوفاء على السواء، والذي يحقق لك أن الاستفهام والإخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد: أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ على الوجهين: الخبر الاستفهام، على ما اقتضته القراءتان، وهو قول واحد دل على أن مؤدى =

الاستفهام، فعلى هذه القراءة «ما»: استفهامية، أي: أيّ شيء جئتم به، أهو السحر؟ وقرأ عبد الله: «ما جئتم به سحر»، وقرأ أبيّ: «ما أتيتم به سحر»، والمعنى: لا ما أتيت به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة، ﴿لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: لا يثبته ولا يديمه، ولكن يسلط عليه الدمار، ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾: ويثبته، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوامره وقضاياه، وقرىء: «بكلمته»، بأمره ومشيئته.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾: في أوّل أمره، ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل، كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه؛ وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه؛ خوفاً من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف، وقيل: الضمير في قومه لفرعون، والذرية: مؤمن آل فرعون، وآسية: امرأته، وخازنه، وامرأة خازنه، وماشطته.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾؟

قلت: إلى فرعون، بمعنى: آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له، ويجوز أن يرجع إلى الذرية، أي: على خوف من فرعون، وخوف من أشراف بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويدل عليه قوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يريد أن يعذبهم، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لغالب فيها قاهر، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: في الظلم والفساد، وفي الكبر والعتوّ، بادعائه الربوبية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: صدقتم به وبآياته، ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾: فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون، ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا/ ٣٢١ب نفوسهم لله، أي: يجعلوها له سالمة خالصة لا حظّ للشيطان فيها؛ لأن التوكل لا يكون مع التخليط، ونظيره في الكلام: إن ضربك زيد فاضربه، إن كانت بك قوّة، ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: إنما

= الأمرين واحد ضرورة صدق الخبر. وإنما حمل الزمخشري على تأويل القول بالتعييب، أو إضمار مفعول تقولون. استشكالاً لوقوع الاستفهام محكيا بالقول، والمحكي أولاً عنهم الخبر. وقد أوضحنا أنه لا تنافر ولا تنافي بين الأمرين، فشد بهذا الفصل عرى التمسك، فإنه من دقائق النكت. والله الموفق.

قالوا ذلك؛ لأنّ القوم كانوا مخلصين، لا جرم أنّ الله سبحانه قبل توكلهم، وأجاب دعاءهم، ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه، وجعلهم خلفاء في أرضه، فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه، فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص، ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: موضع فتنة لهم، أي: عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا، أو فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون: لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾

تبوّأ المكان: اتخذه مباءة؛ كقولك: توطنه، إذا اتخذه وطناً، والمعنى: اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته[1] مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه، ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ﴾: تلك ﴿قِبْلَةً﴾ أي: مساجد متوجهة نحو القبلة، وهي: الكعبة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة، وكانوا في أوّل أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة؛ لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على ذلك في أوّل الإسلام بمكة.

فإن قلت: كيف نوّع الخطاب، فثنى أوّلاً، ثم جمع، ثم وحد آخراً؟

قلت: خوطب موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ أن يتبوّءا لقومهما بيوتاً، ويختاراها للعبادة؛ وذلك مما يفوّض إلى الأنبياء، ثم سيق الخطاب عامًّا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لأنّ ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى ـ عليه السلام ـ بالبشارة التي هي الغرض؛ تعظيماً لها وللمبشر بها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

الزينة: ما يتزين به من لباس، أو حلي، أو فرش، أو أثاث، أو غير ذلك، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب، وفضة، وزبرجد، وياقوت».

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾؟

---

(١) قوله: «بمصر بيوتاً من بيوته» لعل الضمير لمصر (ع).

قلت: هو دعاء بلفظ الأمر[1]؛ كقوله: (ربنا اطمس)، (واشدد)، وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكرّراً وردّد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلاً، وحذرهم عذاب الله وانتقامه، وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين، ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفراً، وعلى الإنذار إلا استكباراً، وعن النصيحة[2] إلا نبوّا، ولم يبق له مطمع فيهم، وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال، وأنّ إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة، أو علم ذلك بوحي من الله ـ اشتد غضبه عليهم، وأفرط مقته وكراهته لحالهم، فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره، كما تقول: لعن الله إبليس، وأخزى الله الكفرة، مع علمك أنه لا يكون غير ذلك، وليشهد عليهم/ ٣٢٢أ بأنه لم يبق له فيهم حيلة، وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون[3] فيه، كأنه قال: ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال، وليكونوا ضلالاً[4]، وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما عليّ منهم، هم أحق بذلك وأحق، كما يقوله الأب المشفق لولده الشاطر إذا ما لم يقبل منه؛ حسرة على ما فاته من قبول نصيحته، وحرداً[5] عليه، لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه، ومعنى الشدّ على القلوب، الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان، ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾: جواب للدعاء الذي هو: «اشدد»، أو دعاء بلفظ النهي، وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل، على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال، فكأنهم أوتوها ليضلوا، وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾: عطف على ليضلوا، وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: دعاء معترض بين المعطوف

---

(١) قال محمود: «قلت هو دعاء بلفظ الأمر... إلخ» قال أحمد: وهذا من اعتزاله الخفي الذي هو أدق من دبيب النمل، يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفاً. ووجه ذلك أنه علم أن الظاهر بل والباطن أن اللام للتعليل؛ وأن الفعل منصوب بها، ومعنى ذلك إخبار موسى عليه السلام بأن الله إنما أمدهم بالزينة والأموال وما يتبعهما من النعم استدراجاً ليزدادوا إثماً وضلالة، كما أخبر تعالى عن أمثالهم بقوله ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل، والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في استحالة ذلك على الله تعالى، لاعتقاده أن من الجور أن يملي لهم في الضلالة ويعاقبهم عليها، فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردها إلى معتقده وجعلها تبعاً له، كما تقدم له في تأويل قوله (ليزدادوا إثما) وكأين من آية غراء رام أن يسترغرتها ويطفئ نورها بأمثال هذه التأويلات الرديئة لفظاً وعقداً، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ثم لا يسعه إلا أن يحمل موسى عليه السلام على أمثال هذه المعتقدات، ولقد برأه الله وكان عند الله وجيهاً.

(٢) قوله: «وعن النصيحة» لعله وعلى (ع).

(٣) قوله: «يتسكعون» في الصحاح: «التسكع» التمادي في الباطل (ع).

(٤) قوله: «وليكونوا ضلالاً» هذا على قراءة (ليضلوا) بفتح الياء. والقراءة المشهورة (ليضلوا) بضمها. وعبارة النسفي: ليضلوا الناس عن طاعتك اهـ (ع).

(٥) قوله: «وحرداً عليه» في الصحاح: الحرد ـ بالتحريك: الغضب (ع).

والمعطوف عليه، وقرأ الفضل الرقاشي: «أئنك آتيت؟» على الاستفهام، و«اطمس» بضمّ الميم.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قرئ: دعواتكما، قيل: كان موسى يدعو وهارون يؤمّن، ويجوز أن يكونا جميعاً يدعوان، والمعنى: إنّ دعاءكما مستجاب، وما طلبتما كائن ولكن في وقته، ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة، فقد لبث نوح ـ عليه السلام ـ في قومه ألف عام إلا قليلاً ولا تستعجلا، قال ابن جريج: فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تتبعا طريق الجهلة بعبادة الله في تعليقه الأمور بالمصالح، ولا تعجلا؛ فإن العجلة ليست بمصلحة، وهذا كما قال لنوح ـ عليه السلام ـ ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، وقرىء: «ولا تتبعانِ»، بالنون الخفيفة، وكسرها؛ لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية، وبتخفيف التاء من تبع.

﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَاءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَاءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

قرأ الحسن: «وجوزنا» من أجاز المكان وجوزه وجاوزه، وليس من جوز الذي في بيت الأعشى [من الكامل]:

وَإِذَا تَجَوَّزْنَا حِبَالَ قَبِيلَةٍ[١] ....

لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال: «وجوّزنا بني إسرائيل في البحر»؛ كما قال [من الطويل]:

---

(١) وإذا تجوزنا حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالاً
للأعشى. وشبه عهود الأمان التي يأخذها من القبيلة يتوثق ويتوصل بها إلى أخرى بالحبال، بجامع التوثق بكل على طريق التصريحية. أي: وإذا تجشمنا مجاوزة عهود قبيلة وتكلفنا مجاوزة محل أمانها؛ فإيقاع التجوز على الحبال: مجاز عقلي، أخذت ناقتي من القبيلة الأخرى حال كونها ذاهبة إليك حبالاً، أي عهوداً للتوصل للقبيلة الأخرى، وهكذا. وإسناد الأخذ لها مجاز عقلي، ويكفي في الملابسة مجاورتها له حين الفعل. وإنما أسنده إليها للمبالغة، وتخييل أنها تعرف الممدوح وفضله، فهي المسامرة إليه بنفسها. وروي يجوزها. وجبال بالجيم، فمعنى أخذت: قطعت من أرض القبيلة الأخرى بالسير إليك جبالاً غير تلك. وعلى كل، ففيه دليل على صعوبة الطريق.
ينظر البيت في ديوانه (٦٥)، وتأويل مشكل القرآن ٤٦٥، ومجاز القرآن ١/ ١٠١، واللسان (حبل)، ومجمل اللغة ١/ ٢٦٢، وزاد المسير ١/ ٤٣٣، وتاج العروس ٧/ ٢٧٠، وتهذيب اللغة ٥/ ٧٨، والدر المصون ٢/ ١٧٧.

. . . . كَمَا جَوَّزَ السَّكِّيَّ فِي الْبَابِ فَيْتَقُ[(١)]

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: فلحقهم، يقال: تبعته حتى أتبعته، وقرأ الحسن: «وعدوّا»[(٢)]، وقرئ: أنه بالفتح على حذف الياء التي هي صلة الإيمان؛ وإنه بالكسر على الاستئناف بدلاً من آمنت، كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول، ثم لم يقبل منه؛ حيث أخطأ وقته، وقاله حين لم يبق له اختيار قط، وكانت المرّة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف.

﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿ءَآلْـَٔنَ﴾: أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق[(٣)]، وأيست من نفسك، قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق، وقيل: قاله بعد أن غرق في نفسه، والذي يحكى أنه حين قال: (آمنت)، أخذ جبريل من حال البحر[(٤)]، فدسه في فيه (٧٥٦)، فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم أنّ إيمانه/ ٣٢٢ب لا

---

٧٥٦ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٨٧): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة يونس، حديث (٣١٠٨)، والنَّسائي في التفسير (١/ ٥٧٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٤٠ ـ ٣٤٠) والحاكم في مستدركه (١/ =

---

(١) ولا بد من جاز يجيز سبيلها ... كما جوز السكي في الباب فيتق
للأعشى يصف مفازة الغزل فيها الملحق عن بني عكاظ كما يأتي قريباً. يقول: ولا بد لمريد قطعها من جاز: أي قريب منها يعين المسافر على سلوك سبيلها. وجازه يجوزه: سلكه. وأجازه يجيزه: أسلكه. وكذا جوزه يجوزه بالتشديد فيهما. والسكي: المسمار، نسبة للسك، وهو تضبيب الباب وتسميره. والفيتق: النجار؛ لأنه يفتق الخشب بالمسمار. ويروى: كما سلك السكي، أي: لا يعد من معين، ينفذه فيها كما أنفذ النجار المسمار في الباب. وعبر بالماضي ليدل على أن المشبه به معهود للسامع.
ينظر البيت في ديوانه ص ٢٧٣، ولسان العرب (فتق)، (سكك)، وتهذيب اللغة ٩/ ٦٣، ٤٣١، وكتاب الجيم ٣/ ٦٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٧١، وكتاب العين ٥/ ٢٧٢، وتاج العروس (فتق)، (سكك)، وبلا نسبة في المخصّص ٥/ ١٣٢، ١٠/ ٢٥، ١٢/ ٢٦١.

(٢) قوله: «وقرأ الحسن وعدوا» في الصحاح: عدا عدواً وعدواً وعداء اهـ. وقد مر في قوله تعالى ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ (ع).

(٣) قال محمود: «معناه أتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين أدركك الغرق... إلخ» قال أحمد: ولقد أنكر منكراً، وغضب لله ولملائكته كما يجب لهم، والله الموفق.

(٤) قوله: «من حال البحر فدسه» أي طينه الأسود. أفاده الصحاح. وفي الحديث «قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه» كذا في الخازن (ع).

ينفعه، وأمّا ما يضم إليه من قولهم: خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين[1] لله

= ٥٧)، (٢/ ٣٤٠)، (٤/ ٢٤٩) وصححه، وابن حِبان في صحيحه (رقم ١٧٤٥ ـ موارد)، والطيالسي في منحة المعبود (٢/ ٨٤) رقم (٢٣٠٧)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٠٥) رقم (١٧٨٧٢ ـ ١٧٨٧٣ ـ ١٧٨٧٦)، وإسحاق بن راهويه والبزار في مسنديهما؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٨).

كلهم من طرق عن شعبة عن عديّ بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قال التِّرمذي (٥/ ٢٨٧): هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال الحاكم (٢/ ٣٤٠): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس».

وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٦٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس به.

وله طريق آخر عن ابن عباس:

أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٨٧): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة يونس، حديث (٣١٠٧)، وأحمد (١/ ٢٤٥ ـ ٣٠٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢١٦) رقم (١٢٩٣٢)، وعبد بن حميد ص (٢٢٢) رقم (٦٦٤ ـ منتخب)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٠٥) رقم (١٧٨٧٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ١٠٢) رقم (٤٢٠٨) كلهم من طرق عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس به.

قال التِّرمذي: هذا حديث حسن.

وذكر السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٦٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس به.

وأخرجه الطبري أيضاً في تفسيره عن ابن عباس موقوفاً:

فأخرجه الطبري (٦/ ٦٠٦) رقم (١٧٨٧٩، ١٧٨٨١)، من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٤٥) رقم (٩٣٩٣)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٠٥) رقم (١٧٨٧٤)، والسهمي في: «تاريخ جرجان» ص (١٠٦) رقم (٣٠٦)، وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٩)؛

كلهم من طريق حكّام بن سَلْم عن عنبسة عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه.

وله شاهد أيضاً من حديث ابن عمر:

أخرجه ابن مردويه في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٩) من طريق نصر بن محمد بن سليمان بن أبي ضمرة السلمي عن أبيه عن عبد الله بن أبي قيس عن ابن عمر مرفوعاً نحو حديث أبي هريرة. =

(١) قوله: «الباهتين لله» في الصحاح «بهته» إذا قال عليه ما لم يفعله (ع).

وملائكته، وفيه جهالتان: إحداهما: أنّ الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس، فحال البحر لا يمنعه، والأخرى: أنّ من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر، فهو كافر؛

= وذكره المتقى الهندي في: «كنز العمال» (٢/ ٢٥) رقم (٢٩٩٦)، وزاد نسبته لابن عساكر عن ابن عمر به.

وله شاهد أيضاً من حديث أبي أمامة:

ذكره السيوطي في: «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٩)، وعزاه إلى أبي الشيخ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ به.

قال الحافظ:

قوله «والذي يحكي». . . إلى قوله: «لأن الرضا بالكفر كفر»، هذا إفراط منه في الجهل بالمنقول والغض من أهله. فإن الحديث صحيح الزيادات، وقد أخرجه التِّرمذي وصححه، والنَّسائي وابن حِبان والحاكم وإسحاق والبزار وأبو داود والطيالسي؛ كلهم من رواية شعبة عن عديّ بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه أحدهما إلى النبي ﷺ قال: «إن جبريل كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول: لا إله إلا الله فيرحمه الله» لفظ التِّرمذي والباقين. نحوه، وله طريق أخرى أخرجها أحمد وإسحاق وعبد بن حميد والبزار والطبراني من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، بلفظ: «لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، قال جبريل: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ الطين من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة، وله طريق أخرى أخرجها يحيى بن عبد الحميد الحمائي في مسنده عن أبي خالد الأحمر عن عمرو بن يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال جبريل ـ عليه السلام ـ للنبي ﷺ: وذكر فرعون «فلقد رأيتني وأنا لأكبر فمه بالحمأة مخافة أن تدركه الرحمة، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه الطبري وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب في السادس والخمسين، وابن مردويه من طريق عتبة بن سعيد عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: قال لي جبريل: «لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في في فرعون؛ مخافة أن يقول ربي الله، فتدركه رحمة الله»، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول قال لي جبريل: يا محمد ما غضب ربك على أحد غضبه على فرعون إذ قال: ما علمت لكم من إله غيري. وإذ نادى فقال: أنا ربكم الأعلى. فلما أدركه الغرق استغاث وأقبلت أحشو فاه؛ مخافة أن تدركه الرحمة» أخرجه الطبراني وابن مردويه من رواية محمد بن سليمان بن أبي ضمرة عن عبد الله بن أبي قيس عنه.

قلت: وأما الوجهان اللذان ذكرهما الزمخشري، فللحديث توجيه وجيه، لا يلزم منه ما ذكره الزمخشري؛ وذلك أن فرعون كان كافراً كفر عناد؛ ألا ترى إلى قصته حيث توقف النيل، وكيف توجه منفرداً وأظهر أنه مخلص، فأجرى له النيل، ثم تمادى على طغيانه وكفره، فخشي جبريل أن يعاود تلك العادة فيظهر الإخلاص بلسانه، فتدركه رحمة الله فيؤخره في الدنيا، فيستمر على غيه وطغيانه؛ فدس في فمه الطين؛ ليمنعه التكلم بما يقتضي ذلك، هذا وجه الحديث. ولا يلزم منه جهل ولا رضا بكفر، بل الجهل كل الجهل ممن اعترض على المنقول الصحيح برأيه الفاسد، وأيضاً فإيمانه في تلك الحالة على تقدير أنه كان صدقاً بقلبه لا يقبل؛ لأنه وقع في حال الاضطرار؛ ولذلك عقب في الآية بقوله تعالى: ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾، وفيه إشارة في قوله تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾. انتهى.

لأن الرضا بالكفر كفر ﴿مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: من الضالين المضلين عن الإيمان؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وروي أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ أتاه بفتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته، فكفر نعمته، وجحد حقه، وادّعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق في البحر، فلما ألجمه الغرق، ناوله جبريل خطه فعرفه (٧٥٧)، ﴿نُنَجِّيكَ﴾: بالتشديد والتخفيف: نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر، وقيل: نلقيك بنجوة من الأرض، وقرئ: «ننحيك»، بالحاء: نلقيك بناحية مما يلي البحر؛ وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر، قال كعب: رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور، ﴿بِبَدَنِكَ﴾: في موضع الحال، أي: في الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن، أو ببدنك كاملاً سويًا لم ينقص منه شيء ولم يتغير، أو عرياناً لست إلا بدناً من غير لباس، أو بدرعك؛ قال عمرو بن معد يكرب [من الوافر]:

أَعَاذِلُ شِكَّتِي بَدَنِي وَسَيْفِي ... وَكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ[1]

وكانت له درع من ذهب يعرف بها، وقرأ أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: «بأبدانكَ» وهو على وجهين: إما أن يكون مثل قولهم: هوى بأجرامه، يعني: ببدنك كله وافياً بأجزائه، أو يريد: بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها، ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾: لمن وراءك من الناس علامة، وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق، وروي أنهم قالوا: ما مات فرعون، ولا يموت أبداً. وقيل: أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدّقوه، فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه، وكأن مطرحه كان على ممرّ من بني إسرائيل حتى قيل: لمن خلفك، وقيل: (لمن خلفك): لمن يأتي بعدك من القرون، ومعنى كونه آية: أن تظهر للناس عبوديته ومهانته، وأنّ ما كان يدّعيه من الربوبية باطل محال، وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه ـ عزّ وجلّ ـ فما الظنّ بغيره، أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك، فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا

---

٧٥٧ ـ ذكره القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

---

(١) لعمرو بن معد يكرب، وكانت له درع من ذهب تعرفه بها العرب. يقول: يا عاذلة، إن سلاحي درعي وسيفي وفرسي المكتنز اللحم المدبج الخلق. وقيل: المقلص الطويل القوائم الهين القود. ويروى: سهل القياد. والمعنى واحد. وإطلاق البدن على الدرع في الأصل مجاز علاقته المجاورة أو المحلية، وأتى بأداة العموم في الفرس لأنه الذي يكثر تغييره.
ينظر: ديوانه (٦٠)، والبحر المحيط (٥/ ١٨٩).

بحالك وبهوانك على الله، وقرئ: «لمن خلقك»، بالقاف، أي: لتكون لخالقك آية كسائر آياته، ويجوز أن يراد: ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين ـ لئلا يشتبه على الناس أمرك، ولئلا يقولوا ـ لادعائك/ ٣٢٣أ العظمة إنّ مثله لا يغرق ولا يموت ـ آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره، وليعلموا أنّ ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضيًا وهو مصر والشام، ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾: في دينهم وما تشعبوا فيه شعباً إلا من بعد ما قرؤوا التوراة، وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة، وعلموا أن الاختلاف فيه تفرّق عنه، وقيل: هو العلم بمحمد ﷺ واختلاف بني إسرائيل، وهم أهل الكتاب، اختلافهم في صفته ونعته، وأنه هو أم ليس به، بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠].

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾

فإن قلت: كيف قال لرسول الله ﷺ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: مع قوله في الكفرة: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠][(١)].

قلت: فرق عظيم بين قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق، وبين قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ بمعنى: الفرض والتمثيل، كأنه قيل: فإن وقع لك شك مثلاً، وخيل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، والمعنى: أن الله ـ عزّ وجلّ ـ قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب،

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف قال له عليه السلام: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ مع قوله في الكفرة ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾... إلخ؟ قال أحمد: ولو قال هذا المفسر: إن نفي الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لأمره بالسؤال لتقوم حجته على المسؤولين لا ليستفيد بسؤالهم علماً لمزيد تعين الإبراء بقوله له ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ فأمر بالسؤال والجواب جميعاً ـ لكان أقوم وأسلم، والله أعلم.

ووصفهم بأنّ العلم قد جاءهم؛ لأنّ أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوّة محمد ـ عليه السلام ـ ويبالغ في ذلك، فقال: فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً ـ وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها، إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته، وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق، فسل علماء أهل الكتاب، يعني: أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علماً بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءاتهم فضلاً عن غيرك، فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله، لا وصف رسول الله بالشك فيه، ثم قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ثبت عندك بالآيات، والبراهين القاطعة، أنّ ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله، ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب؛ كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٨٦ ـ ٨٧]، ولزيادة التثبيت والعصمة؛ ولذلك قال عليه السلام عند نزوله: «لاَ أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ بَلْ أَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ» (٧٥٨) وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لا والله، ما شك طرفة عين، ولا سأل أحداً منهم، وقيل: خوطب رسول الله ﷺ والمراد خطاب أمته/ ٣٢٣ب، ومعناه: فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم؛ كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك؛ كقول العرب: إذا عز أخوك فهن، وقيل: «إن» للنفي، أي: فما كنت في شك فاسأل، يعني: لا نأمرك بالسؤال؛ لأنك شاك، ولكن لتزداد يقيناً، كما ازداد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بمعاينة إحياء الموتى، وقرئ: «فاسأل الذين يقرؤون الكتب».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح، وأخبر به

---

٧٥٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦١٠) رقم (١٧٩٠٧ ـ ١٧٩٠٨) كلاهما عن معمر عن قتادة به.
وذكره السيوطي في: «الدر المنثور» (٣/ ٥٧١).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق، ومن طريق الطبري عن معمر عن قتادة في هذه الآية، قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل» انتهى.

الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره، وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد[1]، تعالى الله عن ذلك.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾: فهلا كانت، ﴿قَرْيَةٌ﴾: واحدة من القرى التي أهلكناها، تابت عن الكفر، وأخلصت الإيمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف، ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه، ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾: بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار، وقرأ أبيّ، وعبد الله: «فهلا كانت»، ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: استثناء من القرى؛ لأنّ المراد أهاليها، وهو استثناء منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا، ويجوز أن يكون متصلاً، والجملة في معنى النفي؛ كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء، وقرئ بالرفع على البدل؛ هكذا روي عن الجرمي والكسائي، روي أن يونس ـ عليه السلام ـ بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فذهب عنهم مغاضباً، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح، وعجوا[2] أربعين ليلة، وقيل: قال لهم يونس: «إن أجلكم أربعون ليلة»، فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك، آمنا بك، فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم، ويسوّد سطوحهم، فلبسوا المسوح، وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم، وصبيانهم، ودوابهم، وفرّقوا بين النساء والصبيان، وبين الدواب وأولادها، فحنّ بعضها على بعض، وعلت الأصوات والعجيج، وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا، فرحمهم الله وكشف عنهم، وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة، وعن ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادّوا المظالم، حتى إنّ الرجل كان يقتلع الحجر، وقد وضع عليه أساس بنائه فيردّه، وقيل: خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا: قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فقال لهم: قولوا: «يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ محي الموتى، ويا حيّ لا إله إلا أنت» فقالوها، فكشف عنهم، وعن الفضيل بن عياض: قالوا: «اللهم، إن ذنوبنا قد عظمت وجلت، وأنت أعظم منها وأجل، افعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله».

---

(١) قوله: «لا كتابة مقدر ومراد» مبني على مذهب المعتزلة أن الله لا يريد الشر. وذهب أهل السنة إلى أنه تعالى يريد كل كائن خيراً كان أو شرا (ع).

(٢) قوله: «وعجوا» أي رفعوا أصواتهم. أفاده الصحاح (ع).

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾: مشيئة القسر[1] والإلجاء[2]، ﴿لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾: على وجه الإحاطة والشمول، ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين على الإيمان/ ٣٢٤أ مطبقين عليه لا يختلفون فيه؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت؛ وإيلاء الاسم حرف الاستفهام؛ للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه؛ وإنما الشأن في المكره من هو؟ وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه؛ لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرّون عنده إلى الإيمان؛ وذلك غير مستطاع للبشر.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ يعني: من النفوس التي علم أنها تؤمن، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بتسهيله، وهو منح الألطاف، ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: قابل الإذن بالرجس، وهو الخذلان[3]، والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون، وهم المصرون على الكفر، كقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وسمي الخذلان: «رجساً» وهو العذاب؛ لأنه سببه، وقرىء: «الرجز»، بالزاي، وقرئ: «ونجعل»، بالنون.

---

(١) قوله: «مشيئة القسر» هذا مذهب المعتزلة، وذلك أنهم أوجبوا على الله الصلاح والأصلح، وإيمان الكل أصلح، لكن الآية تخالف مذهبهم فقالوا: إنه تعالى أراد إيمان الكل إرادة تخيير للعباد، فلم يلزم وقوع المراد، ولو أراده إرادة إجبار لوقع، وأهل السنة لم يوجبوا على الله شيئاً، ولزوم وقوع المراد لا ينافي تخيير العباد، لما لهم من الكسب في أفعالهم الاختيارية وإن كان فاعلها في الحقيقة هو الله، كما تقرر في التوحيد.

(٢) قال محمود: «المراد مشيئة القسر والإلجاء» قال أحمد: وهذا من دسه الاعتزال مخلساً، وخلط الباطل بالحق مدلساً. ولما علم أن الآية تقتضي عدم مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق بصيغة الكلية، وأنه إنما شاء ذلك ممن آمن لا ممن كفر ـ إذ مقتضى «لولا» امتناع، وكان ذلك راد لمعتقده الفاسد، إذ يزعمون أن الله تعالى شاء الإيمان من جميع أهل الأرض، فلم يؤمن إلا بعضهم ـ أخذ يحرف مشيئة الإيمان إلى مشيئة القسر والإلجاء، ليتم له أن المشيئة المرادة في الآية لم تقع؛ إلا أنا نوافقه على أن الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم، بل أمرهم بالإيمان وخلق لهم اختياراً له وقصداً، وهذا كما ترى لا يعد في التأويل. بل هو أجدر بالتعطيل، فوجب رده وإقرار الظاهر على حاله، نعوذ بالله من زيغ الشيطان وإضلاله، والله الموفق.

(٣) قوله: «وهو الخذلان» تأويل الرجس بالخذلان على مذهب المعتزلة، وعلى مذهب أهل السنة لا حاجة إلى تأويله (ع).

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾

﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: من الآيات والعبر، ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: والرسل المنذرون، أو الإنذارات، ﴿عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾: لا يتوقع إيمانهم، وهم الذين لا يعقلون، وقرئ: «وما يغني»، بالياء، و«ما»: نافية، أو استفهامية.

﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾

﴿أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: وقائع الله ـ تعالى ـ فيهم، كما يقال: «أيام العرب»: لوقائعها، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾: معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله: ﴿إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا، على حكاية الأحوال الماضية، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾: ومن آمن معهم، كذلك ﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم، ونهلك المشركين. و﴿حَقًّا عَلَيۡنَا﴾: اعتراض، يعني: حقّ ذلك علينا حقًّا، وقرئ: «ننجّ»، بالتشديد.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا أهل مكة، ﴿إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾: وصحته وسداده، فهذا ديني فاسمعوا وصفه، واعرضوه على عقولكم، وانظروا فيه بعين الإنصاف، لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك، وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم، ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾: وإنما وصفه بالتوفي، ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى، فيعبد دون ما لا يقدر على شيء، ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يعني: أن الله أمرني بذلك، بما ركب فيّ من العقل، وبما أوحى إليّ في كتابه، وقيل: معناه: إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه ـ أثبت عليه أم أتركه وأوافقكم ـ فلا تحدّثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري، واقطعوا غنى أطماعكم، واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولا أختار الضلالة على الهدى؛ كقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ [الكافرون: ١ ـ ٢]، ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ﴾ أصله: بأن أكون، فحذف الجار، وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف: الجارّة مع: «إن»، و«أن»، وأن يكون من الحذف غير المطرد، وهو قوله: أمرتك الخير فاصدع/ ٣٢٤ب بما تؤمر.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

فإن قلت: عطفُ قوله: ﴿وَأَنْ أَقِمْ﴾ على: (أن أكون): فيه إشكال؛ لأنّ «أن»: لا تخلو من أن تكون التي للعبارة، أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر، فلا يصح أن تكون للعبارة، وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول؛ لأنّ عطفها على الموصولة يأبى ذلك، والقول بكونها موصولة مثل الأولى، لا يساعد عليه لفظ الأمر، وهو: (أقم)، لأنّ الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب.

قلت: قد سوّغ سيبويه أن توصل: «أن» بالأمر والنهي، وشبه ذلك بقولهم: أنت الذي تفعل، على الخطاب؛ لأنّ الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر، والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال، (أقم وجهك): استقم إليه، ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً، و﴿حَنِيفًا﴾: حال من الدين، أو من الوجه.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ معناه: فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك، فكنى عنه بالفعل إيجازاً، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ إذاً: جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدّر، كأنّ سائلاً سأل عن تبعة عبادة الأوثان، وجعل من الظالمين؛ لأنه لا ظلم أعظم من الشرك، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر، أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ هو الضارّ النافع، الذي إن أصابك بضرّ لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد، فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله وإحسانه، فكيف بالأوثان؟ فهو الحقيق إذاً بأن توجه إليه العبادة دونها، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨].

فإن قلت: لم ذكر المس في أحدهما، والإرادة في الثاني؟

قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً: الإرادة، والإصابة في كل واحد من الضرّ والخير، وأنه لا رادّ لما يريده منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما، والإرادة في الآخر؛ ليدلّ بما ذكر على ما ترك، على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ والمراد

بالمشيئة: مشيئة المصلحة.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة، فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه، ومن آثر الضلال فما ضرّ إلا نفسه، واللام وعلى: دلا على معنى النفع والضر، وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل، وفيه حث على إيثار الهدى وإطراح الضلال مع ذلك، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم على ما أريد؛ إنما أنا بشير ونذير.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَٱصْبِرْ﴾: على دعوتهم، واحتمال أذاهم، وإعراضهم، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾/ ٣٢٥أ: لك بالنصرة عليهم والغلبة، وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله ﷺ الأنصار، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي» (٧٥٩) يعني: أني أُمرت في هذه الآية

---

٧٥٩ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٤٠): غريب بهذا اللفظ، وهو في تفسير الثعلبي، عن أنس بغير سند، أ.ه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن بن زيد بن عاصم:
أخرجه البخاري (٨/ ٣٦٩): كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمانٍ، حديث (٤٣٣٠) وطرفه في (٧٢٤٥)، ومسلم (٤/ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ النووي): كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، حديث (١٣٩/ ١٠٦١) كلاهما من طريق عمرو بن يحيى بن عمارة عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم به وله شاهد أيضاً من حديث أسيد بن حضير:
أخرجه البخاري (١٤/ ٤٩٤): كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، حديث (٧٠٥٧)، ومسلم (٦/ ٤٧٦ ـ النووي): كتاب الإمارة: باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، حديث (٤٨/ ١٨٤٥)، والترمذي (٤/ ٤٨٢): كتاب الفتن: باب في الأثرة وما جاء فيه، حديث (٢١٨٩)، والنسائي (٨/ ٢٢٤): كتاب آداب القضاة، باب ترك استعمال من يحرص على القضاء؛ كلهم من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير به. قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.
قال ابن حجر تعليقاً على حديث أسيد بن حضير: ومن حديث أسيد بن حضير ليس فيه كون الآية سبب ذلك، بل سببه قسمة غنائم حنين أ.هـ وله طريق آخر عن أسيد بن حضير:
أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٧٩) من طريق يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير به.
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الحافظ: ذكره الثعلبي عن أنس بغير سند. والقصة المذكورة متفق عليها من حديث عبد الله بن زيد في أثناء حديث، ومن حديث أسيد بن حضير، ليس فيه كون الآية سبب ذلك، بل سببه قسمة =

بالصبر على ما سامتني الكفرة، فصبرت، فاصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة، قال أنس: فلم نصبر، وروي أنّ أبا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار، ثم دخل عليه من بعد، فقال له: مالك لم تتلقنا؟ قال: لم تكن عندنا دواب، قال: فأين النواضح؟ قال: قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، وقد قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّكُمْ سَتَلْقُونَ بعْدِي أَثَرَةً» ح، قال معاوية: فماذا قال؟ قال: «فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي» ح، قال: فاصبر؛ قال: إذن نصبر. (٧٦٠) فقال عبد الرحمنِ بْنُ حَسَّان [من الوافر]:

أَلاَ أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... أَمِيرَ الظَّالِمِينَ نَثَا كَلامِي

بِأَنَّا صَابِرُونَ فَمُنْظِرُوكُمْ ... إِلَىٰ يَوْمِ التَّغَابُنِ وَالْخِصَامِ(١)

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يُونُس أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ بِيُونُسَ وَكَذَّبَ بِهِ، وَبِعَدَدِ مَنْ غَرَقَ مَعَ فِرْعَونَ» (٧٦١).

= غنائم حنين. انتهى.

٧٦٠ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٦/ ٥٦ ـ ٥٧) رقم (٧٤٨٨) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب؛ أن معاوية لما قدم المدينة... الحديث».
وأخرجه إسحاق بن راهويه والحاكم في مستدركه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٤١).
قال الحافظ: أخرجه إسحاق بن راهويه. ومن طريقه الحاكم والبيهقي عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل؛ أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري: فقال معاوية: تلقانا الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، فما يمنعكم أن تلقوني؟ قال: لم تكن لنا دواب، فقال معاوية: فأين النواضح. قال أبو قتادة. عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر. ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله ﷺ قال: أما إنكم سترون بعدي أثرة. قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تلقوه. فقال عبد الرحمن بن حسان حين بلغه ذلك ـ فذكر البيتين. وقال: يا أمير المؤمنين. انتهى.

٧٦١ ـ تقدم وينظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: تقدم إسناده في آل عمران. ويأتي في آخر القرآن. انتهى.

---

(١) لعبد الرحمن بن حسان، حين دخل معاوية بن أبي سفيان بن حرب المدينة، فتلقته الأنصار وتخلف أبو قتادة، ثم دخل عليه فقال له: مالك تخلفت؟ فقال: لم يكن عندنا دواب. قال: فأين النواضح؟ قال: قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، وقد قال ﷺ: يا معشر الأنصار ستلقون بعدي أثرة. قال معاوية، فماذا قال؟ قال: فاصبروا حتى تلقوني. قال: فاصبروا. قال: إذاً نصبر. والثناء يقال للخير، وقد يقال للشر. والنثا: خاص بالشر. وروي «نثا كلامي» ومنظروكم: ممهلوكم. أي أنت وقومك. والتغابن: ظهور الغبن للعمال في تجارات الأعمال. والخصام: المخاصمة والمجادلة، أي إلى يوم القيامة.